الآفة السادسة والثلاثون
الحسد والعين

والآفة السادسة والثلاثون التى يعانى منها كثير من الناس، وكانتْ سببًا فى قعود طائفة من الأمة عن أداء دورها وواجبها إنما هى: «الحسد والعين».

وحتى يتخلص منها مَنْ ابتلى بها، ويتوقاها مَنْ سلَّمه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ منها، فإنه لابدَّ من التعريف بها، من خلال هذه الجوانب :

أولا : حول ماهية الحسد.. وعلاقته بالغبطة والتنافس :

الحسد لغةً : الحسد فى أصل وضعه اللغوى : القشر، نقول: حسد الشجرة قشر عنها لحاءها، ومعلوم أن الشجرة إذا قشر عنها لحاؤها يبست، ونقول: حَسَدَه، يحسُدُه، ويحْسِدُهُ حَسَدًا، وحُسُودًا: قشرهُ وتحاسد القوم، ورجل حاسد منْ قومٍ حُسَّد، وحُسَّاد، وحَسَدَة مثل حامل وحَمَلَة، وحَسُودٌ مِنْ قَومٍ حُسُدٍ، والأنثى بغير هاء، وهم يتحاسدون: يحسد بعضهم بعضا[1].

وحكى الأزهرى عن ابن الأعرابى قوله : «الحسدل: القُراد، ومنه أُخِذَ: الحسد يقشر القلب، كما تقشر القُرادُ الجلد فتمتص دَمَه»[2]. الحسد شرعًا :

وللحسد شرعًا عدَّة تعاريف يمكن حصرها فى خمسة:

التعريف الأول : وهو لأبى الحسن الماوردى الفقيه الأديب السياسى المفسِّر المعروف، المتوفى عام(٤٥٠ هـ)، إذ يقول :

« إنَّه ـ أى الحسد ـ فى الظَّاهر : شدة الأسى على الخير أن يكون للنَّاس الأفاضل»[3]. ويقول فى موضع آخر :

« وحقيقة الحسد : شدَّة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل »[4].

(١، ٢) انظر : لسان العرب لابن منظور ٢/ ٨٦٨، مادة: «حسد»، ٥/ ٣٢٠٨، مادة: «غَبَطَ»، وتاج العروس شرح القاموس للزبيدى ٢/ ٣٣٦ .

(٣) انظر : تسهيل النظر وتعجيل الظَّفَر فى أخلاق المَلِك وسياسة المُلْك ص ١١٩، ١٢٠ .

(٤) انظر : أدب الدنيا والدين ص ٢٤٥ .

وعبارة الماوردى واحدة فى الموضعين تقريبًا ومؤداها أن الحسد : حزن أو حسرة شديدة تصيب القلب عند رؤية النعمة فى أيدى أهلها من ذوى الصَّلاح والفضل، وهو لأبى البقاء أيوب بن موسى الكفوى ت (١٠٩٤هـ) إذ يقول: «والحسد: اختلاف القلب على الناس لكثرة الأموال والأملاك » [١] .

التعريف الثانى : وهو لأحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية (ت٧٢٨هـ) إذ يقول: «والتحقيق أن الحسد: هو البُغض والكراهة لما يراه من حُسن حال المحسود»[٢] .

التعريف الثالث : وهو لأبى عبد الله الحسين بن حسن المعروف بالحليمى (ت ٤٠٣هـ)، إذ يقول : « والحسد : الاغتمام بالنعمة يراها الأخ لأخيه المسلم، والتمنِّى بزوالها عنه»[٣] .

التعريف الرابع : وهو لأبى حامد الغزالى(ت ٥٠٥ هـ)، إذ يقول: «الحسد حدُّه: كراهة النعمة، وحبُّ زوالها عن المُنعَم عليه»[٤]. التعريف الخامس: وهو للأكثرين من العلماء، ومنهم الشريف بن على الجرجانى إذ يقول: «الحسد : تمنِّى زوال نعمة المحسود إلى الحاسد »[٥] . والإمام محيى الدين النووى (ت ٦٧٦ هـ) ، إذ يقول: « والحسد : تمنِّى زوال النعمة » [٦] . والحافظ أحمد بن على المعروف بابن حجر العسقلانى (ت٨٥٢هـ)، إذ يقول: «الحسد: تمنِّى الشخص زوال النعمة عن مستحقٍّ لها أعم من أن يسعى فى ذلك أو لا» [٧] . وأبو البقاء الكفوى إذ يقول : «والحسد: إرادة زوال نعمة الغير » [٨] . وبنظرة خاطفة فى هذه التعاريف الخمسة يظهر :

أن الأول منها عرَّف الحسد بذكر أهم أسبابه، وهو تغير القلب، وحزنه وحسرته لما يرى من حسن حال المحسود.

---

(١) انظر : الكليات ص ٤٠٨ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى الكبرى ١/ ١١٢ .

(٣) انظر: المنهاج فى شُعب الإيمان: الباب الثالث والأربعون من شُعب الإيمان: الحث على ترك الغل والحسد ٣/ ١٠٣ .

(٤) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى: كتاب ذم الغضب والحقد والحسد: باب بيان حقيقة الحسد.. ٣/ ٢٧٧.

(٥) انظر : التعريفات ص ٨٧ حرف الحاء .

(٦) انظر : المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٥/ ٤٢٣، ٤٢٦ .

(٧) انظر : فتح البارى ١٠ / ٤٨٢ .

(٨) انظر : الكليات ص ٦٧٢ .

وأن الثانى عرَّف الحسد كذلك بذكر سببه إجمالا وهو البُغض والكراهيـة.

وأن الثالث عرَّف الحسد بذكر أهم آثاره وهو الغم يصيب القلب، وبذكر حقيقته، وهو تمنِّى زوال النعمة عن الغير.

وأن الرابع عرَّف الحسد بذكر سببه إجمالا وهو البغض والكراهية وبذكر حقيقته وهو تمنِّى زوال النعمة عن الغير.

وأن الخامس عرَّف الحسد بذكر حقيقته، وهو تمنِّى زوال النعمة عن الغير.

غير أن منها ما شرط لصحته أن تزول النعمة عن الحاسد إلى المحسود، وهو تعريف الجرجانى، وليس بلازم فإنه يصح بزوال النعمة إلى غير الحاسد، ومنها ما شرط: أن تزول عن مستحق لها، وهو الحافظ ابن حجر العسقلانى، وكأنَّه نظر إلى الحسد العرفى المذموم فى لسان الشرع، إذ لو تمنَّى زوالها عن غير مستحق لها مثل كافر، أو عاص يُفسد بها فى الأرض فيُهلك الحرث والنَّسْل لم يكن آثمًا كما سيأتى فى بيانها، ومنها ما أطلق وهو الإمام النووى ليبقى التعريف عامًا مستوعبًا لكل الصور: المذموم منها وغير المذموم، القبيح منها والأقبح، ولا تعارض بين ما قاله الإمام النووى، وما قاله الحافظ ابن حجر، إذ ما قاله الإمام النووى يصدق على الحسد شرعًا، وما قاله الحافظ ابن حجر يصدق على الحسد عرفًا، وينبغى الوقوف عند المعنى الشرعى، لا عند المعنى العُرفى، لأنه محور الحديث هنا.

وعليه فإن الحسد شرعًا هو : تمنِّى زوال نعمة الغير مطلقًا، أعم من أن يكون صاحب هذه النعمة مستحق أو غير مستحق لها، وأعم من أن تؤول إلى الحاسد، أو إلى غير الحاسد، وأعم من أن يسعى الحاسد فى إزالتها أو لا يسعى، وأعم من أن يكون السعى بالتفكير والتخيُّـل، أو بالنظر والعين، أو بالملامسة، أو بغيرها من الوسائل.

ويدل لصحَّة ما قلنا أن ابن حجر نفسه اعتمد على هذا التعريف فى موطن آخر من كتابه فتح البارى، إذ يقول فى كتاب العلم ١/ ١٦٦ : « الحسد تمنِّـى زوال النِّعمـة عن المنعم عليـه ، وخصَّه بعضهم بأن يتمنَّى ذلك لنفسـه ، والحقُّ أنه أعم » ، ويبقى تمييز ما يبيحه الشارع منه وما يذمه رهن الدليل، كما سيأتى.

الغبطة لغة : يطلق أصل هذه المادة، وهو الغين، والباء، والطاء (غبط) على ثلاثة معانٍ هى :

١ ـ دوام الشيء ولزومه، يقال: أغبطتْ عليه الحمَّى أى دامتْ، وأغبطْتُ الرَّحْلَ على ظهر البعير: إذا أدمته عليه، ولم تحطَّه عنه، ولذلك سُمِّى الرَّحْلُ غبيطًا، ومن هذا جاءت الغِبطة بمعنى حسن الحال، ودوام المسرَّة .

٢ ـ الجس والاطمئنان، يُقال : غبطتُ الشَّاةَ إذا جسستَها بيدك تنظر بها سِمَنٌ، ومِنْ هذا الباب: الغبيط : أرض مطمئنة كأنها غبطتْ: أى جُسَّتْ حتى اطمأنَّت.

٣ ـ نوع من الحسد، يُقال : إنه غير مذموم، لأنَّه لا يتعدَّى أن يكون تمنيًا لمثل نعمة الغير، دون إرادة زوالها عنه [(١)] . ولا تعارض بين هذه المعانى الثلاثة، إذ الغبطة نوع من الحسد المحمود يقوم على تحسس نعمة الغير، والاطمئنان إلى أنَّه يحسن أن يكون له مثل هذه النعمة، على أن تدوم هذه النعمة لصاحبها ولا تزول عنه.

الغبطة شرعًا : والغبطة شرعًا ـ فى ضوء ما قدمنا فى المعنى اللُّغوى ـ عرَّفها الحليمى بقوله: «والغابط مَنْ يتمنَّى أن يكون له من الخير مثل ما لغيره» [(٢)] . والجرجانى بقوله: «الغبطة عبارة عن تمنِّى حصول النعمة لك كما كان حاصلا لغيرك مِنْ غير تمنِّى زوالها عنه»[(٣)] . وابن حجر بقوله : «ومعنى الغبطة : تمنِّى المرء أن يكون له نظير ما للآخر من غير أن يزول عنه» [(٤)] . ومعناها جميعًا متقارب.

وقد جاء هذا المعنى بعينه فى بعض روايات حديث : « لا حسد إلا فى اثنتين . . . » إذ يُبيِّن النبى ﷺ ذلك بقوله: « . . . رجل علَّمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل، وآناء النهار، فسمعه جارٌ له فقال: ليتنى أُوتيتُ مثل ما أُوتى فلان، فعملتُ مثل ما يعملُ، ورجلٌ آتاه الله مالا، فهو يُهلكه فى الحقِّ ، فقال رجل : ليتنى أُوتِيتُ مثل ما أُوتِى فلان ، فعملتُ مثل ما يعمل»[(٥)] .

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/ ٤١٠ ـ ٤١١، ولسان العرب ٥/ ٣٢٠٨ ـ ٣٢١٠ مادة: «غبط» بتصرف.

(٢) انظر: المنهاج فى شعب الإيمان ٣/ ١٠٣ .

(٣) انظر : التعريفات ص ١٦١ .

(٤) انظر : فتح البارى ١/ ١٦٦ .

(٥) وهذه الرواية أخرجها البخارى فى : الصحيح: كتاب فضائل القرآن: باب اغتباط صاحب القرآن ٦/ ٢٣٦، عن على بن إبراهيم، عن روح بن عبادة، عن شعبة، وكتاب التمنِّى: باب تمنِّى القرآن والعلم ٩/ ١٠٤، عن عثمان بن أبى شيبة عن جرير، وكتاب التوحيد: باب قول النبى ﷺ: «رجل آتاه الله القرآن . . .» ٩/ ١٨٨ ـ ١٨٩ عن قتيبة عن جرير، والنسائى فى: السنن الكبرى: كتاب فضائل القرآن: باب اغتباط صاحب القرآن ٥/ ٢٧ رقم (٨٠٧٣) عن محمد بن المثنى عن ابن أبى عدى، عن شعبة، وكتاب العلم: باب الاغتباط فى العلم ٣/ ٤٢٦ رقم(٥٨٤١) عن إسحاق بن إبراهيم ، عن جرير ، =

التنافس لغة : يأتى التنافس لغة على معانٍ، منها :

١ ـ محبة الشىء، والرغبة فيه، وأصله من الشىء النفيس فى نوعه، يقال: نافَسْتُ

= وأحمد فى: المسند ٢/ ٤٧٩ عن محمد بن جعفر، وروح قالا: حدثنا شعبة كلاهما ـ أى شعبة وجريرعن الأعمش سليمان بن مهران، عن ذكوان أبى صالح السمَّان عنه، غير أن رواية النسائى التى فى: كتاب العلم تومئ: أنها غير محفوظة لاقتصارها على خَصْلَة فقط، إذ لفظها: «لا تحاسد إلا فى اثنتين: رجل أتاه الله القرآن، وهو يتلوه فى آناء الليل وآناء النهار، فيقول : لو أوتيت مثل ما أُوتى هذا لفعلتُ كما يفعل هذا، ورجل آتاه الله علمًا»، وهذا ينافى رواية النسائى نفسه التى فى كتاب فضائل القرآن.

وللحديث رواية أخصر من هذه عن ابن مسعود أخرجها البخارى فى: الصحيح: كتاب العلم: باب الاغتباط فى العلم والحكمة ١/ ٢٨ عن الحميدى، عن سفيان بن عيينة، وكتاب الزكاة: باب إنفاق المال فى حقه ٢/ ١٣٤ عن محمد بن المثنى، عن يحيى القطان، وكتاب الأحكام: باب أجر مَنْ قضى بالحكمة لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ٩/ ٧٨، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنة: باب ما جاء فى اجتهاد القضاة بما أنزل الله تعالى .... ٩/ ١٢٦ عن شهاب بن عباد، عن إبراهيم بن حميد الرؤاسى، ومسلم فى: الصحيح: كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب فضل مَنْ يقوم بالقرآن ويعلمه ١/ ٥٥٩ رقم (٨١٦/٢٦٨) عن أبى بكر بن أبى شيبة، عن وكيع، وعن محمد بن عبد الله بن نمير، عن أبيه ومحمد بن بشر، والنسائى فى: السنن الكبرى: كتاب العلم : باب الاغتباط فى العلم ٣/ ٤٢٦ رقم (٥٨٤٠) عن إسحاق بن إبراهيم، عن جرير، ووكيع، وعن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك، وأحمد فى: المسند ١/ ٣٨٥ عن يحيى القطان، ١/ ٤٣٢ عن وكيع، ويزيد تسعتهم عن إسماعيل بن أبى خالد، عن قيس ابن أبى حازم البجلىّ الأحمسىّ عنه ـ أى ابن مسعود ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلَّطه على هلكته فى الحقِّ، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها، ويُعلِّمها».

وللحديث رواية ثالثة عن ابن عمر بلفظ يماثل رواية ابن مسعود أخرجها البخارى فى: الصحيح: كتاب التوحيد: باب قول النبى ﷺ : «رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار» ٩/ ١٨٩ عن على بن عبد الله المدينى، ومسلم فى: الصحيح: كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب فضل مَنْ يقوم بالقرآن ١/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩ رقم (٨١٥/٢٦٦، ٢٦٧) عن أبى بكر بن أبى شيبة، وعمرو الناقد، وزهير بن حرب، والترمذى فى: السنن: كتاب البرِّ والصلة: باب ما جاء فى الحسد ٤/ ٢٩١ رقم (١٩٣٦) عن ابن أبى عُمر، والنسائى فى: السنن الكبرى: كتاب فضائل القرآن: باب اغتباط صاحب القرآن ٥/ ٢٧ رقم (٨٠٧٢) عن قتيبة بن سعيد ، وابن ماجة فى: السنن: كتاب الزهد: باب الحسد ٢/ ١٤٠٨ رقم (٤٢٠٩) عن يحيى بن حكيم المقوِّم، ومحمد بن عبد الله بن يزيد، وأحمد فى: المسند ٢/ ٨ ـ ٩ تسعتهم عن سفيان، عن الزهرى، عن سالم: عنه ـ يعنى ابن عمر مرفوعًا، وقال الترمذى: «حسن صحيح»، والبخارى أيضًا فى الصحيح: كتاب فضائل القرآن: باب اغتباط صاحب القرآن ٦/ ٢٣٦ عن أبى اليمان، عن شعيب، وأحمد فى: المسند عن عبد الرزاق، عن معمر ٢/ ٣٦ كلاهما عن الزهرى، عن سالم عنه ـ يعنى ابن عمر ـ مرفوعًا.

هذا ورواية البخارى موضع الشاهد هنا هى عند ابن حجر فى فتح البارى: كتاب فضائل القرآن: باب اغتباط صاحب القرآن ٩/ ٧٣ رقم (٥٠٢٦)، وكتاب التمنِّى: باب تمنِّى القران والعلم ١٣/ ٢٢٠ رقم (٧٢٣٢)، وكتاب التوحيد: باب قول النبى ﷺ : «رجل آتاه الله القرآن...» ١٣/ ٥٠٢ رقم (٧٥٢٨) من حديث أبى هريرة مرفوعًا به.

فى الشيء منافسةً، ونَفَاسةً، ونِفَاسًا، ونَفُسَ الشى بالضمِّ نفاسةً، صار مرغوبًا فيه محبوبًا.

٢ ـ الضنُّ بالشيء، أو البخل به، يقال: نَفِسْتُ عليه الشيء بالكسر أَنْفَسُه نفاسةً، ضننتُ أو بخلتُ عليه به، وما أحبُّ أن يصل إليه.

٣ ـ رؤية الغير فاقد الأهلية للشيء مع حسده عليه، نقول: تنافس الشيء، وبالشيء على فلان، لم يره أهلا لهذا الشيء، وحسده عليه.

٤ ـ التسابق والتبارى فى الشيء من غير إلحاق الضرر بالمتنافس، نقول: نافس فلان فلانًا فى كذا: سابقه وباراه من غير أن يُلحق الضرر به، وتنافس القوم فى كذا: تسابقوا فيه، وتبَارَوا دون أن يلحق بعضهم الضرر ببعض، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين] [(١)]. ولا تعارض بين هذه المعانى جميعًا، فإن رؤية الغير ليس أهلا للشيء أو للأمر قد تحمل أو تقود إلى التسابق والتبارى فى تحصيله رغبةً فيه، ومحبَّةً له، وضنًّا به على هذا الغير.

التنافس اصطلاحًا: ولا يعرف معنى التنافس اصطلاحًا إلا بما يُضاف إليه، فإذا أضيف إليه الدنيا كان معناه: «التبارى فى الرغبة فى الدنيا، وأسبابها، وحظوظها، على وجه الانفراد، والاستئثار بها» [(٢)]. وإذا أضيف إلى الآخرة كان معناه: «التبارى فى الرغبة فى الآخرة وأسبابها وحظوظها على وجه لا يلحق فيه، ولا يسبق» [(٣)].

العلاقة بين الحسد، والغبطة، والتنافس:

والعلاقة بين الحسد، والغبطة، والتنافس تبعًا لما عرفنا من ماهية كلٍّ منها تظهر فى: أن الحسد: تمنِّى زوال نعمة الغير مطلقًا، والغبطة تمنِّى مثل نعمة الغير دون إرادة زوالها عنه، والتنافس هو الرغبة فى الشيء وأسبابه على وجه الانفراد، والاستئثار به.

ثانيًا: حول ماهية العين وعلاقتها بالنفس:

العين لُغةً: تطلق العين وما يُشتق منها لُغَةً على معانٍ، منها:

١ ـ حاسَّة البصر، والرؤية، والجمع أعيان، وأعين، والكثير عيون، وجمع الجمع أَعْيُنات.

---

(١) انظر: لسان العرب ٦/ ٢٣٨، مختار الصحاح ص ٤٥١ ـ ٤٥٢، المعجم الوسيط ٢/ ٩٤٠ مادة: «نفس»، وانظر كذلك: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووى ٥/ ٤٢٧، وفتح البارى لابن حجر العسقلانى ١١/ ٢٤٥ بتصرف كبير.

(٢، ٣) انظر: المنهاج للنووى ٥/ ٤٢٧، وعنه نقل ابن حجر فى: فتح البارى ١١/ ٢٤٥.

٢ ـ الجاسوس الذى يُبعث لتجسس الخبر، جاء فى الحديث عن أنس بن مالك ﷺ قال: «بعث رسول الله ﷺ بُسَيْسَة عينًا ينظر ما صنَعَتْ عِيْرُ أبى سفيان...» الحديث [١].

٣ ـ عظم سواد العين وسعتها، نقول: رجل أعين واسع العَيْن، بيِّن العين ومنه قيل لبقر الوحش: «عين» صفة غالبة، وقال الله تعالى فى نساء الجنَّة: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢]

٤ ـ الرئيس الرائد، نقول: فلان عين الجيش: رئيسه، ورائده.

٥ ـ عين الماء، أو ينبوع الماء الذى ينبع من الأرض ويجرى، ومنه قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان]، ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان]

٦ ـ الناحية أو الجهة، نقول: جاء مِنْ هذه العين: الناحية أو الجهة.

٧ ـ الشمس، نقول طلعت العينُ، أو غابت العين: الشمس.

٨ ـ المال العتيد، الحاضر، النَّاضُّ، ومِنْ كلامهم: عين غير دين.

٩ ـ النقد، يقال: اشتريتُ العبد بالدين أو بالعين: النقد.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الإمارة [الجهاد عند المزّى فى: تحفة الأشراف بمعرفة الاطراف ١/ ١٣٥ ـ ١٣٦ رقم ٤٠٨] باب: ثبوت الجنَّة للشهيد ٣/ ١٥٠٩ ـ ١٥١١ رقم (١٩٠١/ ١٤٥) قال: حدثنا أبو بكر بن النضر بن أبى النضر، وهارون بن عبد الله ـ يعنى: الحمَّال ـ ومحمد بن رافع، وعبدُ بن حميد، وألفاظهم متقاربة، قالوا ـ أربعتهم: حدثنا هاشم بن القاسم ـ يعنى أبا النضر ـ قال: حدثنا سليمان ـ وهو ابن المغيرة، عن ثابت، عن أنس بن مالك بهذا اللفظ، وهو جزء من حديث طويل، وأبو داود فى: السنن: كتاب الجهاد: باب فى بعث العيون ٣/ ٨٨ رقم (٢٦١٨) قال: حدثنا هارون بن عبد الله قال: حدثنا هاشم بن القاسم إلى نهاية إسناد مسلم، مقتصراً على هذا اللفظ، وأحمد فى: المسند ٣/ ١٣٦ ـ ١٣٧ من رواية ابنه عبد الله عنه، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى هاشم ابن القاسم إلى نهاية إسناد مسلم، واللفظ واحد، وبُسَيْسَةُ هذا: ذكره ابن حجر فى الإصابة: القسم الأول ١/ ١٥١ فسمَّاه: «بسبسة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجى»، وضبطه بموحدتين مفتوحتين بينهما مهملة ساكنة، ثم مهملة مفتوحة، قال: «ويقال له: «بسبس» بغيرها ـ هو قول ابن إسحاق وغيره ـ شهد بدراً باتفاق، وحكى عياض أنه فى مسلم بموحدة مصغَّر: «بسيبسى»، قال ابن حجر: وهو عند أبى داود «بسيبة» بصيغة التصغير، وكذا قال ابن الأثير: إنَّه رآه فى أصل ابن منده، لكن بغير هاء، قال: «والصواب الأول، فقد ذكر ابن الكلبى أنَّه الذى أراد الشاعر بقوله:

أقم لها صدورها يا بسبس ... إن مطايا القوم لا تحبس

١٠ ـ الدينار أو الذهب عامَّـة.

١١ ـ الميل، تقول العرب: فى هذا الميزان عين أى فى لسانه ميل قليل، أو لم يكن مستويًا.

١٢ ـ حقيقة الشىء ، يقال: جاد بالأمر مِنْ عين صافية: أى من قصِّه، وحقيقته، وجاء بالحقِّ بعينه: أى خالصًا واضحًا.

١٣ ـ نفس الشىء وشخصه، وأصله، وعينُ كلِّ شىء: نفسه، وحاضره، وشاهده.

١٤ ـ الشاهد، تقول العرب : عين الرجل شاهده، ومنه قولهم: الفرس الجواد عينُه فِراره، يعنى: إذا رأيته، وشاهدته، تفرَّسْتَ فيه الجودة من غير أن تـفـرَّهُ عن عَـدْوٍ، أو غير ذلك.

١٥ ـ حرف الهجاء المعروف باسم «العين».

١٦ ـ العائن أى الذى يصيب أو يؤذى الآخرين بعينه ، يقـال: عِنْتُ الرجل: إذا أصبته بعينك، فأنا أعينه عينا، وهو معيون، ورجل عيون، ومعيان : خبيث العين، والعائن الذى يعين، وهكذا إلى أكثر من عشرين معنى [(١)].

وواضح من هذه التعاريف : أن الأول منها حقيقى، وبقيتها مجازى.

العين شرعًا :عرَّف القاضى أبو بكر بن العربى (ت ٥٤٤ هـ) العيْن شرعًا فقال: «أن يخلق الله فى المعيون ـ عند نظر العائن إليه وإعجابه به إذا شاء ـ ما شاء من ألم أو هلكة » [(٢)].

وعرَّفها ابن حجر العسقلانى فقال : « والعين نظر باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر» [(٣)]. وكان ينبغى لابن حجر أن يقيِّده بالمشيئة كما فعل ابن العربى، لئلا يُفهم منه أن العين تؤثر بنفسها، كما كان عليه أن يرفع عبارة «مشوب بحسد من خبيث الطبع» لأنَّ العَيْـنَ قد توثر بذلك، وقد تؤثر بمجرد

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/ ١٩٩ ـ ٢٠٤، ولسان العرب لابن منظور ٤/ ٣١٩٧ ـ ٣٢٠١، والكليات لأبى البقاء الكفوى ص ٦٤٢ ـ ٦٤٣، والمعجم الوسيط ٢/ ٦٤٠ ـ ٦٤١، مادة: «عين» بتصرف كثير.

(٢، ٣) انظر: فتح البارى ١٠/ ٢٠٠ .

الاستحسان والإعجاب دون أن يكون معها حسد، بدليل حديث سهل بن حنيف، إذ يروى عنه ابنه أبو أمامة فيقول: إنَّ أباه حدَّثه أن النَّبيَّ ﷺ خرج، وساروا معه نحو مكة، حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف ـ وكان رجلا أبيض حسن الجسم والجلد ـ فنظر إليه عامر بن ربيعة، فقال: ما رأيتُ كاليوم، ولا جلد مخبَّأة، فلبط ـ أى صرع وزنًا ومعنىً ـ سهل، فأتى رسول الله ﷺ فقال: «هل تتَّهمون به من أحد؟» قالوا: عامر بن ربيعة، فدعا عامرًا فتغيَّظ عليه، فقال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلاَّ إذا رأيتَ ما يعجبك برَّكْتَ ؟» ثم قال: «اغتسل له»، فغسل وجهه، ويديه، ومرفقيه، وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره فى قدح، ثم صُبَّ ذلك الماء عليه يصبُّه رجلٌ مِنْ خلفه على رأسه، وظهره،ثم يكفئ القدح، ففعل به ذلك، فراح سهل مع الناس ليس به بأس[١] . فإن الحديث صريح كما نرى فى الإصابة بالعين لمجرد الاستحسان والإعجاب من غير أن يقترن ذلك بالحسد، ولقد أقرَّ ابن حجر نفسه بذلك فى الصحيفة التى تلى هذه الصحيفة التى ذكر بها تعريفه المذكور عند بيان الفوائد المستنبطة من حديث أبى هريرة مرفوعًا عند البخارى: «العين حق...»، وحديث ابن عباس عند مسلم: «العين حق، ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استُغسِلتُم فاغسلوا »[٢] ، قائلا: «وفى الحديث من الفوائد أيضًا...أن العين تكون مع الإعجاب، ولو بغير حسد، ولو من الرجل المحب، ومن الرجل الصالح»[٣] . ولم يبق بعد هذا النقد الموجَّه إلى تعريف ابن حجر للعين شرعًا، سوى اعتماد تعريف القاضى ابن العربى لسلامته من مثل هذا النقد.

النفس لغة : تأتى النفس فى اللغة على معانٍ ، منها :

١ ـ الروح ، نقول : خَرَجَتْ نفس فلان : روحه.

٢ ـ الروح، نقول: وفى نفس فلان أن يفعل كذا وكذا: فى روعه[٤] .

٣ ـ جملة الشىء، وحقيقته، نقول: قتل فلان نفسه، وأهلك نفسه: أوقع الهلاك بذاته كلها، وحقيقته، والجمع من كلٍّ ذلك: أنفس ونفوس.

---

(١) الحديث أخرجه أحمد فى المسند ٣/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧ .

(٢) انظر : فتح البارى ١٠ / ٢٠٣ . (٣) انظر : فتح البارى ١٠/ ٢٠٥ .

(٤) روعه : نفسه وخلده، ومنه قوله ﷺ : «إن روح القدس نفث فى روعى» أى فى نفسى وخلدى، انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢ / ١١١ .

٤ ـ العين، يقال : أصابتْ فلانًا نَفْسٌ ، ونفستُك بنفس إذا أصبتَه بعين ، ويقال ما أنفسه: ما أشدَّ عينه، والنافس العائن، والمنفوس: المعيون.

٥ ـ الحسد ، يقال : نَفَسَ عليك فلانٌ، ينفس نفسًا ، ونفاسةً : حسدك [١] .

النفس شرعًا :

وتُطلق النَّفْسُ شرعًا: على العين، ويدل لذلك ما أخرجه البزَّار من حديث جابر ﷺ رفعه : « أكثر مَنْ يموت بعد قضاء الله وقدره بالنفس » ، قال الراوى : يعنى العين[٢]، وما أخرجه أبو داود من حديث سهل بن حنيف قال: مررنا بسيل، فدخلتُ، فاغتسلت فيه ، فخرجتُ محمومًا ، فنمى ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : « مروا أبا ثابت يتعوَّذ» ، فقلت: يا سيدى، والرقى صالحة؟ فقال: «لا رقية إلا فى نفس، أو حُمَّة، أو لدغة » [٣] وما أخرجه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى: أن جبريل أتى النبى ﷺ فقال: يا محمد، اشتكيتَ؟ فقال: «نعم»، قال: «باسم الله أرقيك، من كلِّ شىءٍ يُوذيك، مِنْ شرِّ كل نفسٍ أو عينِ حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك»[٤] .

الفرق بين العين والنفس :

وبعد بيان ماهية كلٍّ من العين والنَّفْس، يوحى الظاهر أن العين والنفس مترادفان، كأنهما اسمان لمسمّىً واحد، وحين يذكران معًا تكون العين تفسيرًا للنفس، كما فى رقية جبريل للنبى ﷺ تلك التى أثبتناها الآن، ولكن بعد التدقيق والتمحيص: يظهر أن النَّفْس أعم، والعين أخص، كما يشهد بذلك الواقع، وهذا هو ما ينبغى أن يحمل عليه الحديث.

ثالثًا : الحسد فى الدراسات النفسية المعاصرة :

يتصور كثير من علماء النفس المعاصرين : أن الحسد من مكوِّنات انفعال الغيرة التى تحمل على الصراع بين المتنافسين، وتنمِّى الخصومة بينهم.

ومنهم مَنْ يتصوره: مِنْ مكوِّنات سمة العداوة Hostilitytrait وهى سمة مرتفعة عند الجانحين، فكلما زاد الحسد، وما يرتبط به مِنْ حقد، وغيظ، وخصومة، وشحناء، وبغضاء زاد الميل للعُدْوان والرغبة فى التعدِّى على الناس وممتلكاتهم.

---

(١) انظر: الصحاح فى اللغة والعلوم للمرعشليين ص ١١٩٠، والمعجم الوسيط ٢/ ٩٤٠.

(٢) الحديث أورده ابن حجر فى: فتح البارى ١٠/ ٢٠٤، قائلا : «وقد أخرج البزَّار من حديث جابر بسند حسن عن النبى ﷺ قال: «أكثر من يموت. . . .» الحديث.

(٣) أبو داود فى : السنن : كتاب الطب : باب ما جاء فى الرقى ٤/ ٢١٥ـ٢١٦ رقم (٣٨٨٨).

(٤) مسلم فى: الصحيح: كتاب السلام: باب الطب والمرضى والرقى ٤/ ١٧١٨ـ ١٧١٩ رقم (٢١٨٦/ ٤٠).

أما مدرسة التحليل النفسى الفرويدية فتتصور: أن الحسد عند البنات أعلى منه عند الأولاد، وردُّوا ذلك إلى عوامل فطرية قائلين: إن البنت تحسد الولد لامتلاكه قضيبًا، وترغب فى امتلاك مثله، فتميل إلى أبيها، وتغير عليه من أمِّها، وتسمِّى ذلك (عقدة الكترا) ويميل الولد إلى أمِّه، ويغير عليها من أبيه (عقدة أوديب).

وقد أثبتتْ الدراسات التجريبية خطأ هذا التصور نظرًا لكون الحسد بين أفراد الجنس الواحد، أعلى منه بين أفراد الجنسين، فالبنت تحسد البنت مثلها أكثر ممَّا تحسد الأولاد، والولد يحسد الولد مثله أكثر ممَّا يحسد البنات [١].

رابعًا : علاقة كل من الحسد والعين بالآخر :

وعلى ضوء ما قدمنا فى ماهية الحسد والعين، وما فى معناهما يتبيَّن الفرق بينهما، وخلاصته: أن الحسد أعم من وجه، وأخص من وجه آخر، وكذلك العين، فمن حيث السبب أو الباعث على الحسد والعين يلتقيان فيما كان سببه أو باعثه البغض أو الكراهية للنعمة تكون عند الغير، وإرادة زوالها عنه، وتنفرد العين فيما كان سببه الإعجاب والاستحسان، ومن حيث السعى فى إزالة النعمة عن الغير يلتقيان فيما كانت وسيلته الرؤية، أو التوجه بالروح أو التوهم والتخيُّل، وينفرد الحسد فيما كانت وسيلته غير ذلك من الاتصال والملامسة، أو النميمة، أو الأدعية، والرُّقى، والتعوُّذات، يقول ابن حجر: «والعينُ تكون مع الإعجاب، ولو بغير حسد، ولو من الرجل المحبِّ، ومن الرجل الصالح» [٢]، وفى هذا إشارة إلى الوجه الأول.

ويقول ابن القيِّم : «والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية كما يظنه مَنْ قلَّ علمه، ومعرفته بالطبيعة، والشريعة، بل التأثير يكون تارةً بالاتصال، وتارة بالمقابلة، وتارة بالرؤية، وتارة بتوجه الروح نحو مَنْ يؤثر فيه، وتارةً بالأدعية، والرُّقى، والتعوُّذات، وتارةً بالوهم، والتخيُّل، ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية، بل قد يكون أعمى، فيوصف له الشىء، فتؤثر نفسه فيه، وإنْ لم يره، وكثير من العائنين يؤثر فى المعين بالوصف من غير رؤية، وقد قال تعالى لنبيه : ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [القلم : ٥١] . وقال : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾» [٣].

---

(١) انظر : المدخل إلى علم الصحة النفسية للدكتور : كمال إبراهيم مرسى ص ٢٠٦ بتصرف.

(٢) انظر: فتح البارى ١٠ / ٢٠٥ .

(٣) انظر : زاد المعاد ٣/ ١١٨ .

وفى هذا إشارة إلى الوجه الثانى.

خامسًا : حول حقيقة الحسد والعين بين الإنكار والإثبات :

ونعرض الآن أقوال المنكرين والمثبتين للحسد والعين، وأدلة كل فريق، ثم نوازن بين هذه الأدلة لمعرفة الرأى الراجح على هذا النحو :

أ ـ المنكرون للحسد والعين وأدلتهم :

أنكر الحسد والعين نفرٌ من الناس، وهم الطبعيون الماديُّون الملحدون الذين يقولون: الكون مادة، ولا إله، ولا إيمان إلا بما تدرك الحواس الخمس، والطبيعة، أو الصدفة، أو قانون الأسباب والمسببات، هذه هى التى تحرِّك كل شىء فى هذا العالم.

وما دمنا لا نرى اتصالا محسوسًا مباشرًا بين الحاسد والعائن، وبين المحسود والمعيون عند نزول الضرر بكل منهما، فإنا لا نُسلِّم بالحسد والعين، وإنما هما من قبيل الأوهام والخيالات، فدليلهم إذن هو الواقع المدرك بالحواس.

يقول ابن القيِّم عن هذا النَّفر من النَّاس : «فأبطلت طائفة ممَّنْ قَلَّ نصيبهم من السَّمْع والعقل أمر العين وقالوا: إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها» [(١)]. وقال المازرى : «وقد أنكره طوائف من المبتدعة، والدليل على فساد ما قالوه: أن كلَّ معنىً ليس بمحال فى نفسه: ولا يؤدى إلى قلب حقيقة، ولا إفساد بدليل، فإنه مِنْ مجوِّزات العقول، فإذا أخبر الشرع بوقوعه فلا معنى لتكذيبه، وهل فرق بين تكذيبه فى هذا إذا ثبت جوازه، وبين تكذيبه فيما نخبر من أخبار الآخرة» [(٢)].

وإنصافًا لهؤلاء ينبغى التفريق بين إنكار أصل الفعل، وإنكار الأثر المترتب عليه، إذ هم لا ينكرون أصل الفعل، وإنما ينكرون الأثر المترتب عليه.

ب ـ المثبتون للحسد والعين وأدلتهم :

وأثبت الحسد والعين أهل السنة والجماعة، مستدلين بقوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ [الفلق] . إذ يقول القرطبى ـ رحمه الله تعالى :

« وقوله : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ دليل على أن الحسد يؤثر فى المحسود ضررًا يقع به إمَّا فى جسمه بمرضٍ ، أو فى ماله، وما يختص به بضرر، وذلك بإذن

---

(١)انظر : زاد المعاد ٣/ ١١٧ .

(٢)انظر : المعلم بفوائد مسلم ٣/ ١٥٥ ـ ١٥٦ ، وعنه نقل النووى فى: المنهاج ٥/ ٣٢ .

الله تعالى ومشيئته، كما قد أجرى عادته، وحقَّق إرادته، فربط الأسباب بالمسبَّبات، وأجرى بذلك العادات، ثم أمرنا فى دفع ذلك بالالتجاء إليه، والدعاء، وأحالنا على الاستعانة بالعُوَذ والرقى»(١) .

وبقوله تعالى : ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [القلم] .

وبقوله ﷺ : « العَيْنُ حقٌّ، ولو كان شىءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سبقتْهُ العيْنُ، وإذا استغسلتم فاغسلوا »(٢) . إذ يقول القرطبى :

« قوله : «العين حق» أى ثابت موجود، لاشكَّ فيه، وهذا قول علماء الأمَّة، ومذهب أهل السنة »(٣) . ويقول أيضًا :

«وقوله : «ولو كان شىء سابَقَ القدر لسبقته العين» هذا إغياء فى تحقيق إصابة العين، ومبالغة فيه تجرى مجرى التمثيل ، لا أنَّه يمكن أن يَرُدَّ القدر شىءٌ، فإن القدر عبارة عن سابق علم الله تعالى ونفوذ مشيئته، ولا رادَّ لأمره، ولا مُعقِّبَ لحُكمه، وإنما هذا خرج مخرج قولهم: لأطلبنَّك ولو تحت الثرَى، أو ولو صعدت إلى السماء، ونحوه، مما يجرى هذا المجرى، وهو كثير»(٤) .

وبقوله ﷺ : «والعين حقٌّ، ويحضر بها الشيطان، وحسد ابن آدم»(٥) .

وبقوله أيضًا: « أكثر مَن يموت بعد قضاء الله وقدره بالنفس » يعنى: بالعين»(٦) .

واستدلوا بأن العقل لا يمنع ذلك كما تقدم ردُّ المازرى على الطبعيين.

---

(١) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥/ ٥٦٤ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب السَّلام : باب الطبِّ والمرضى والرُّقى ٥/ ٣٢ [المنهاج للنووى] من حديث ابن عباس مرفوعًا به، والترمذى فى: السُّنن: كتاب الطب: باب أن العين حقٌّ والغسل لها ٤/ ٣٤٧ برقم (٢٠٦٢) من حديث ابن عباس، والنسائى فى: السُّنن [الكبرى] كتاب الطب: باب العين ٤/ ٣٨١ برقم (٧٦٢٠ / ٤) من حديث ابن عباس به، وابن ماجة فى: السنن: كتاب الطب: باب العين ٢/ ١١٥٩ برقم (٣٥٠٦) من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه مرفوعًا، وبرقم (٣٥٠٨) من حديث أبى هريرة مرفوعًا، غير أنه اقتصر فى الروايتين على قوله: «العين حق»، وبرقم (٣٥٠٨) من حديث عائشة مرفوعًا بلفظ: «استعيذوا بالله، فإن العين حق»، غير أن فى إسناده ـ كما قال البوصيرى فى: مصباح الزجاجة ـ أبا واقد، واسمه: صالح بن محمد بن زائدة الليثى وهو ضعيف.

(٣، ٤) انظر : المفهم ٥/ ٥٦٥ ، ٥٦٦ .

(٥) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ٢/ ٤٣٩ من حديث أبى هريرة بهذا اللفظ.

(٦) الحديث سبق تخريجه ص٢١٤.

كما استدلوا بالواقع نفسه، حيث يقول القرطبى: «فكم من رجل أدخلته العين القبر، وكم من جمل ظهير أحَلَّتْهُ القدر، لكن ذلك بمشيئة الله تعالى كما قال: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة : ١٠٢] » (١) .

ويبين أهل السنة والجماعة الكيفية التى يتم بها ذلك قائلين:

لا يبعد أن تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية من العين، فتتصل بالمعين، وتتخلل مسامَّ جسمه، فيخلق الله سبحانه الهلاك عندها، كما يخلق الهلاك عند شرب السُّمِّ، عادة أجراها الله تعالى، وليس ضرورة، ولا طبيعة ألجأ إليها العقل(٢) .

وأيدوا هذه الكيفية مما هو مُشاهد فى الواقع، حيث أجرى الله العادة بوجود كثير من القوى، والخواص فى الأجسام والأرواح، كما يحدث لمن ينظر إليه مَنْ يحتشمه من الخجل، فيرى فى وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك، وكذا الاصفرار عند رؤية مَنْ يخافه (٣) .

يقول ابن حجر: «وقد أشكل ذلك على بعض الناس فقال: كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون ؟ والجواب : أن طبائع الناس تختلف، فقد يكون ذلك مِنْ سمٍّ يصل مِنْ عين العائن فى الهواء إلى بدن المعيون، وقد نقل عن بعض مَنْ كان معيانًا أنَّه قال: إذا رأيتُ شيئًا يعجبنى وجدتُ حرارة تخرج من عينى، ويقرب ذلك بالمرأة الحائض تضع يدها فى إناء اللبن فيفسد،ولو وضعتها بعد طُهرها لم يفسد، وكذا تدخل البستان فتضر بكثير من الغروس من غير أن تمسَّها يدها، ومِنْ ذلك أن الصحيح قد ينظر إلى العين الرمداء فيرمد، ويتثاءب واحد بحضرته فيتثاءب هو، أشار إلى ذلك ابن بطال » (٤) .

ويقول فى موضع آخر : «وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى فى الأرواح من التأثيرات، ولشدة ارتباطها بالعين نسب الفعل إلى العين، وليستْ هى المؤثرة، وإنما التأثير للروح، والأرواح مختلفة فى طبائعها، وقواها، وكيفياتها، وخواصها، فمنها ما يؤثر فى البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك الروح، وكيفيتها الخبيثة، والحاصل أن التأثير بإرادة الله ـ تعالى ـ وخلقه ليس مقصوراً على الاتصال الجسمانى،

---

(١) انظر : المفهم ٥/ ٥٦٥ .

(٢) انظر: المعلم بفوائد مسلم ٣/ ١٥٦ ، وعنه نقل النووى فى : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٥/ ٣٢ .

(٣) انظر : فتح البارى ١٠/ ٢٠٠ .

(٤) المرجع السابق: ١٠ / ٢٠٠ ، ٢٠١ .

بل يكون تارةً به، وتارةً بالمقابلة، وأخرى بمجرد الرؤية، وأخرى بتوجه الروح، كالذى يحدث من الأدعية، والرُقى، والالتجاء إلى الله، وتارةً يقع ذلك بالتوهم، والتخيُّل، فالذى يخرج من عين العائن سهم معنوى إن صادف البدن لا وقاية له أثَّر فيه، وإلا لم ينفذ السَّهم، بل ربما رُدَّ على صاحبه كالسِّهْم الحسِّى سواء »(١) .

هذا ومن المثبتين من فلاسفة الإسلام، وأصحاب المذهب العقلى مَنْ صوَّر هذه الكيفية قائلا : «إن العائن تنبعث من عينه قوَّة سُمِّيَّة تتصل بالمعيون فيهلك أو يفسد، قالوا: لا يستنكر هذا كما لا يستنكر قوَّة سُمِّيَّة من الأفعى والعقرب تتصل باللديغ فيهلك، وإن كان ذلك غير محسوس لنا فكذلك العين »(٢) .

وقد أبطل المازرى هذا التفسير بقوله : « وهذا عندنا غير مُسلم، لأنَّا بيَّنَّا فى كتب علم الكلام ألا فاعل إلا الله تعالى، وبيَّنَّا فساد القول بالطبائع، وبيَّنَّا أن المحدَث لا يفعل فى غيره شيئًا، وهذه الفصول إذا تقرَّرت لم يكن بنا حاجة معها إلى إثبات ما قالوه، ونقول : هل هذا المنبعث من العين جوهر أو عرض، فباطل أن يكون عرضًا إذ العرض لا ينبعث، ولا ينتقل، وباطل أن يكون جوهرًا، إذ الجواهر متجانسة، فليس بعضها أن يكون مفسدًا لبعض أولى من أن يكون الآخر مفسدًا له، فإذا بطل كونه عرضًا أو جوهرًا مفسدًا على الحقيقة بطل مايشيرون إليه »(٣) .

ويعنى المازرى بكلامه هذا : بطلان تأثير العين بذاتها كما يقول الفلاسفة، وأصحاب المذهب العقلى، وإنما تؤثر بإرادة الله تعالى وإذنه ومشيئته.

جـ ـ تقييم أقوال المنكرين والمثبتين للحسد والعين :

والراجح ما ذهب إليه أهل السُّنة والجماعة : إثباتًا وكيفية لاسيما وقد جاء عن النبى ﷺ ما يصلح أن يُقاس عليه لشرح الكيفية المذكورة آنفًا.

إذ جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النَّبىَّ ﷺ يخطب على المنبر يقول : « اقتلوا الحيات، واقتلوا ذا الطُّفْيتين(٤) ، والأبتر(٥) ، فإنهما يطمسان البصر ، ويستسقطان

---

(١) المرجع السابق: ١٠ / ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٢) انظر : المعلم بفوائد مسلم ٣/ ١٥٦، وعنه نقل النووى فى : المنهاج ٥/ ٣٢ .

(٣) انظر : المعلم بفوائد مسلم ٣/ ١٥٦، وعنه نقل النووى فى : المنهاج ٥/ ٣٢ .

(٤) ذو الطُّفْيتين : الطُّفْية : خوصة المُقْل فى الأصل، وجمعها طُفًى، شبَّه الخطَّين اللذين على ظهر الحيَّة بخوصتين من خوص المقل، انظر: النهاية ٣/ ٤١ .

(٥) الأبتر: المقطوع الذنب، ومن الحيات: القصير الذنب الخبيث، انظر: المعجم الوسيط ١/ ٣٧.

الحَبَـل »(١) . وعن أبى لبابة أن النَّبى ﷺ قال: «لا تقتلوا الجِنَّان إلا كلَّ أبتر ذى طُفْيتين، فإنه يسقط الولد، ويُذهب البصر فاقتلوه»(٢). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبى ﷺ : « اقتلوا ذى الطُّفْيتين فإنَّه يلتمس البصر، ويصيب الحمل»(٣) . وفى رواية : أمر النبى ﷺ بقتل الأبتر، وقال: «إنَّه يصيب البصر، ويُذْهِبُ الحَبَل»(٤) .

إذ ما يصدق على هذا الصنف من المخلوقات يصدق على الحاسد والعاين، فيكون الضررُ والأذى إذا أراد الله ـ عز وجل ـ ذلك، وإلا فلا شيء، أمَّا المنكرون له أو المثبتون على غير وجهه فلا حجة لهم سوى الهوى أو التحكم العقلى المَحْض، غير أنه لابدَّ من التأكيد هنا ألا يصح الإفراط فى: ردِّ كل ضرر أو أذى إلى الحسد والعين، لا سيَّما وأنَّ تأثيرهما ليس من ذات الحاسد أو العائن، وإنَّما بمشيئة الله ـ عزَّ وجلَّ .

ولعلَّ الأخذ بأساليب الوقاية ـ التى ستُذكر فى موضعها من هذا البحث ـ مما يحمى من آثار الحسد والعين، وكذلك الأخذ بأساليب العلاج مما يبطل هذا الأثر إن وقع لا قدَّر الله.

أجل ، إن تجنُّب مثل هذا الإفراط يجعل المرء يمشى فى الحياة آمنًا مطمئنًا وعلى الأخص عندما يتجنَّب المعاصى والسيئات،ويتبع ذلك بالالتزام والمحافظة على الطاعات.

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب بدء الخلق: باب قول الله تعالى : ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ ٤/ ١٥٤، ومسلم فى: الصحيح: كتاب السَّلام: باب قتل الحيات وغيرها ٤/ ١٧٥٢ ـ ١٧٥٣ رقم (٢٢٣٣ / ١٢٨، ١٢٩)، وأبو داود فى: السُّنن: كتاب الأدب: باب فى قتل الحيَّات ٤/ ٣٦٤ برقم (٥٢٥٢)، والترمذى فى : السُّنن: كتاب الأحكام والفوائد: باب ما جاء فى قتل الحيات ٤/ ٦٤ ـ ٦٥ برقم(١٤٨٣)، وعقَّب عليه بقوله: «هذا حديث حسن»، وابن ماجه فى : السُّنن : كتاب الطبُّ : باب قتل ذى الطُّفيتَين ٢/ ١١٦٩ برقم (٣٥٣٥)، وأحمد فى: المسند ٢/٩، ١٢١، كلهم من حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا، واللفظ للبخارى.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب بَدْء الخلق: باب خير مال المسلم غَنَمٌ يتبع بها شعف الجبال ٤/ ١٥٦، ومسلم فى : الصحيح: كتاب السلام: باب قتل الحيات وغيرها ٤/ ١٧٥٣ ـ ١٧٥٥ برقم(٢٢٣٣/ ١٣١، ١٣٥، ١٣٦)، وأبو داود فى: السُّنن: كتاب الأدب: باب قتل الحيَّات ٤/ ٣٦٤ برقم (٥٢٥٣)، وأحمد فى : المسند ٣/ ٤٥٣، كلهم من حديث أبى لبابة مرفوعًا، واللفظ للبخارى.

(٣، ٤) الحديث بروايتيه أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب بَدْء الخلق: باب خير مال المسلم غنم يتبعُ بها شعف الجبال ٤/ ١٥٤، ومسلم فى : الصحيح: كتاب السَّلام: باب قتل الحيات وغيرها ٤/ ١٧٥٢ برقم (٢٢٣٢ / ١٢٧)، والنسائى فى: السُّنن: كتاب المناسك: باب قتل الوزغ ٥/ ١٨٩، وابن ماجة فى : السُّنن: كتاب الطبُّ: باب قتل ذى الطفيتين ٢/ ١١٦٩ برقم (٣٥٣٤)، وأحمد فى: المسند ٦/ ٢٩، ٤٩، ٨٣، ١٥٧، ٢٣٠ ، كلهم من حديث عائشة مرفوعًا، واللفظ للبخارى.

قال تعالى :

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

وفى ضوء ما تقدم من إثبات الحسد والعين وتأثيرهما بمشيئة الله ـ تعالى ـ لا يقولن قائل: إذا كان للحسد أو للعين تأثير ضار مِنْ غير ملامسة، فلماذا يطير الطيارون بالطائرات الضخمة ولا يصابون بأذى ؟ ولماذا يخترع المخترعون، وينبغ النابغون فى قوم كفَّار ماديين ؟ ولماذا بلغتْ إسرائيل ما بلغتْ من السيطرة على فلسطين، بل على العالم العربى، والإسلامى، والغربى، وتسخير هؤلاء جميعًا فى التمكين لها، وترسيخ أقدامها ؟

لا يقولنَّ ذلك لأن الله لم يأذن بشىء من ذلك، ولم يشأ، ومادام لم يأذن ولم يشأ فلا تأثير ولا ضرر.

سادسًا : حول حكم الحسد والعين والحاسد والعائن :

ولابد من بيان حكم الحسد والعين، وكذلك الحاسد والعائن فى ضوء السنة النبوية، على هذا النحو :

أ ـ حكم الحسد والعين :

يتفق العلماء : أن الحسد ، والعين بمعنى تمنِّى زوال النعمة أو عدم نزولها بمن هو أهل لها مع السَّعى فى تحقيق ذلك بكل وسيلة ممكنة: حرام، لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴿٥﴾﴾ [سورة الفلق] .

يقول ابن القيِّم ـ رحمه الله : «وتأمَّل تقييده سبحانه : شرَّ الحاسد بقوله: ﴿ إِذَا حَسَدَ ﴾ لأن الرجل قد يكون عنده حسد، ولكن يخفيه، ولا يترتب عليه أذىً بوجه مَّا، لا بقلبه، ولا بلسانه، ولا بيده، بل يجد فى قلبه شيئًا مِنْ ذلك، ولا يعامل أخاه إلا بما يحبُّ الله، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا مَنْ عصم الله.

وقيل للحسن البصرى: أيحسدُ المؤمن ؟ قال: ما أنساك لإخوة يوسف. لكن الفرق بين القوَّة التى فى قلبه مِنْ ذلك، وهو لا يطيعها، ولا يأتمر بها، بل يعصيها طاعةً لله،

وخوفًا، وحياءً منه، وإجلالا له أن يكره نعمه على عباده، فيرى ذلك مخالفةً لله، وبغضًا لما يحبُّ الله، ومحبَّةً لما يبغضه فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك، ويلزمها بالدعاء للمحسود، وتَمنِّى زيادة الخير له، بخلاف ما إذا حقَّق ذلك وحسده، ورتَّب على حسده مقتضاه: من الأذى بالقلب، واللسان، والجوارح، فهذا الحسد المذموم، هذا كله حسد تمنِّى الزَّوال، ومثله: تمنِّى استصحاب عدم النعمة، فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يجب أن يبقى على حاله مِنْ جهله، أو فقره، أو ضعفه، أو شتات قلبه عن الله، أو قلة دينه فهو يتمنَّى دوام ما هو فيه من نقص وعيب، فهذا حسد على شيء مقدَّر، والأول حسد على شيء محقَّق، وكلاهما حاسد عدوٌّ نعمة الله وعدوٌّ عباده، وممقوت عند الله تعالى، وعند الناس، ولا يسود أبدًا، ولا يواسى، فإنَّ النَّاس لايسوِّدون عليهم إلا مَنْ يريد الإحسان إليهم، فأمَّا عدوٌّ نعمة الله عليهم فلا يسوِّدونه باختيارهم أبدًا، إلا قهرًا يعدُّونه من البلاء والمصائب التى ابتلاهم الله بها، فهم يبغضونه، وهو يبغضهم »[(١)].

ولقوله ﷺ: « لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا. . . » الحديث[(٢)].

أمَّا الحسد والعين بمعنى تمنِّى زوال النعمة أو عدم نزولها بمن ليس أهلا لها من كافر أو فاسق يستعين بها على معاصى الله تعالى، فليس بمذموم بل هو ممدوح »[(٣)]. لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٨٨)﴾

[يونس]

يقول ابن عطية: « معناه: أهلكها، ودمِّرْها، وروى أن الطمسة كانت من آيات موسى عليه السلام التسع، وقوله: ﴿ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ بمعنى اطبع، واختم عليهم بالكفر »[(٤)].

---

(١) انظر: بدائع التفسير ٥/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤.
(٢) الحديث سيأتى تخريجه بعد قليل.
(٣) انظر: فتح البارى ١/ ١٦٧ بتصرف.
(٤) انظر: المحرر الوجيز ٧/ ٢٠٦.

ولقول نوح عليه السلام : ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧)﴾ [نوح] .

ورجا النبى ﷺ يوم بدر عير قريش لتكون نافلةً للمسلمين تعويضًا لهم عما تركوه فى مكة من ناحية، وإزالة لهذا المال من أيدى الكفار لكونهم يستخدمونه فى المعصية، ومنها حرب الله ورسوله والمسلمين من ناحية أخرى.

فقد جاء فى الحديث أن النَّبى ﷺ لما سمع بأبى سفيان مُقبلا من الشام: ندب المسلمين إليهم، وقال : « هذه عِير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها . . . »[(١)] .

وأما الحسد بمعنى الغبطة أى تمنِّى مثل ما عند الغير من النعمة دون زوالها عنه فجائز، لحديث : «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلَّطه على هلكته فى الحقِّ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويُعلِّمها » [(٢)] . وقد اختلف العلماء فى المراد بالحسد فى الحديث.

فذهب نفر إلى أن المراد به الغبطة يعنى: تمنِّى مثل ما للغير من النعمة دون زوالها عنه، وأيَّد هذا الفهم حديثُ أبى هريرة مرفوعًا : «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل علَّمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل، وآناء النَّهار، فسمعه جارٌ له، فقال: ليتنى أُوتيتُ مثلما أوتى فلان، فعملتُ مثلما يعمل، ورجلٌ آتاه الله مالا فهو يُهلكه فى الحقِّ، فقال رجل: ليتنى أُوتيت مثلما أوتى فلان، فعملتُ مثلما يعمل» [(٣)] .

يقول ابن حجر فى تصوير هذا الرأى : «وأمَّا الحسد المذكور فى الحديث فهو الغبطة، وأطلق الحسد عليها مجازًا، وهو أن يتمنى أن يكون له مثلما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمَّى منافسة، فإن كان فى الطاعة فهو محمود، ومنه ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين : ٢٦] ، وإن كان فى معصية فهو مذموم، ومنه: «ولا تنافسوا» وإن كان فى الجائزات فهو مباح، فكأنه قال فى الحديث: لا غبطة أعظم أو أفضل من الغبطة فى هذين الأمرين، ووجه الحصر: أن الطاعات إمَّا بدنية، أو مالية، أو كائنة عنهما، وقد أشار إلى البدنية بإتيان الحكمة والقضاء بها، وتعليمها »[(٤)] .

---

(١) الحديث أورده ابن هشام فى : السيرة النبوية ٢/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧ من طريق ابن إسحاق بسند صحيح حيث صرَّح ابن إسحاق بالتحديث.

(٢) الحديث سبق تخريجه .

(٣) الحديث سبق تخريجه .

(٤) انظر : فتح البارى ١/ ١٦٧ .

وذهب نفر ثان إلى أن الحسد فى الحديث على حقيقته، والاستثناء منقطع، والمعنى عليه: نفى الحسد مطلقًا، لكن هاتان الخصلتان محمودتان، ولا حسد فيهما، فلا حسد أصلاً [١] . وذهب نفر ثالث إلى أنَّ الكلام جرى مجرى المبالغة فى الحثِّ على تحصيل هاتين الخصلتين، كأنَّه قيل: لو لم يمكن تحصيل هاتين الخصلتين إلا بالطريق المذموم وهو الحسد، لكان ما فيهما من الفضل حاملا على الإقدام على تحصيلهما بهذه الطريق، فكيف والطريق المحمود تساعد على تحصيلهما [٢] .

ب ـ حكم الحاسد والعائن :

وأمَّا حكم الحاسد والعائن فقد قال أبو العباس أحمد بن عمر القرطبى (ت٦٥٦هـ): «مَنْ عرف بالإصابة بالعين منع من مداخلة الناس دفعًا لضرره، قال بعض العلماء: يأمره الإمام بلزوم بيته، وإن كان فقيرًا رزقه ما يقوم به، وكفَّ أذاه عن النَّاس، ولو انتهتْ إصابة العين إلى أن يُعْرَف بذلك، ويُعْلَمَ من حاله أنَّه كلما تكلم بشىء مُعظِّمًا له، أو مُتعجبًا منه أُصيب ذلك الشىء، وتكرر ذلك بحيث يصير ذلك عادةً، فما أتلفه بعينه غرمه، وإن قتل أحدًا بعينه عامدًا لقتله قتل به كالسَّاحر القاتل بسحره عند مَنْ لا يقتله كفرًا » [٣] . ويمكن حمل كلام هذا النفر من العلماء على ما إذا استخدم الحاسد والعائن قوىً خفية كالسحر أو الجنِّ مثلا .

وذهب الشافعية إلى أنَّه لا قصاصَ، ولا ديةَ، ولا كفارةَ على الحاسد أو العائن إذا تسبب بعمله هذا فى قتل غيره، معللين: أن ذلك لا يقتل غالبًا، ولا يُعد مهلكًا.

قال النووى ـ رحمه الله : «ولا ديَة فيه ولا كفَّارة، لأنَّ الحكم إنما يترتب على منضبط عام دون ما يختص ببعض الناس فى بعض الأحوال مما لا انضباط له، كيف ولم يقع منه فعل أصلا، وإنما غايته حسد، وتمنٍّ لزوال نعمة، وأيضًا فالذى ينشأ عن الإصابة بالعين حصول مكروه لذلك الشخص، ولا يتعيَّن ذلك المكروه فى زوال الحياة، فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من أثر العين [٤] .

وتصوُّرى أن الأمر أولا وآخرًا مرجعه إلى الإمام يتصرف بما يراه مناسبًا، لكن لا يسمح لمثل هذا الصنف من الناس بعد اليقين الذى لاشكَّ معه بخطره أن يخالط الناس ويعايشهم ، وعليه أن يوفِّر له ولأهله وولده وذويه كفايتهم من العيش المناسب ، وهذا

(١) انظر : فتح البارى ١/ ١٦٧ .
(٢) انظر : فتح البارى ٩/ ٧٣ بتصرف .
(٣) انظر : المفهم ٥/ ٥٦٨ .
(٤) انظر : روضة الطالبين ٩/ ٣٤٨، وعنه نقل ابن حجر فى : فتح البارى ١٠/ ٢٠٥ .

ما نقله ابن بطال عن بعض أهل العلم: «أنه ينبغى للإمام منع العائن إذا عُرف بذلك مداخلة الناس، وأن يلزم بيته، فإن كان فقيراً رزقه ما يقوم به، فإن ضرره أشد من ضرر المجذوم الذى أمر عمر ﷺ بمنعه من مخالطة الناس كما تقدَّم واضحًا فى بابه، وأشد من ضرر الثوم الذى منع الشارع آكله من حضور الجماعة» [١].

وعقَّب النووى على هذا الرأى بقوله: «وهذا القول صحيح متعيِّن لا يعرف عن غيره تصريح بخلافه»[٢].

وينبغى الانتباه إلى أمر فى غاية الأهمية فى هذا المقام ألا وهو: عدم اتهام أحد من الناس بالحسد أو العين إلا بالبيِّنة المتمثلة فى الإقرار أو العلم من حاله أنَّه كلما تحدَّث بشىء على جهة التعظيم، أو التعجب منه، أُصيب ذلك الشىء، وتكرر منه بحيث تصير عادةً له.

سابعًا : أسباب الحسد والعين :

وهناك أسباب وبواعث توقع فى كلٍّ من الحسد، والعين، ودونك هذه الأسباب، وتلك البواعث:

١ ـ وقوف المرء عند النعمة يراها فى يد الغير، وقد حُرِم هو منها مع نسيان المنعم وحكمته :

ذلك أن وقوف المرء عند النعمة يراها فى يد الغير من: صحة، وعافية، وعلم، ووجاهة، ومال، ورئاسة، وأهل، وولد، وعشيرة، ونحوها، وقد حرم هذا المرء من هذه النعمة مع نسيان المنعم، وأنه سبحانه قسّم النِّعم بين عباده بحكمة وتقدير، بحيث يستوى العباد فى نعم الدنيا فى النهاية، ولا يبقى التفاضل إلا بالتقوى، وصالح العمل ذلك كله يفتح الطريق أمام الشيطان ليلقى فى النفس طائفة من التساؤلات: لم كانت هذه النعمة عند فلان من الناس ؟ ولِمَ خُصَّ بها دونى وهو لا يبلغ من الأهلية لها ما بلغتُ ؟ ولِمَ لَمْ تكن لى من أول الأمر؟ وإن هذه النعمة التى أصابته دونى جعلتْ له مكانًا مرموقًا بين الناس، ويظل الشيطان يُلقى هذه التساؤلات على النفس، وينفخ فيها حتى تصل إلى حدٍّ كراهية هذه النعمة عند الغير، وتمنِّى زوالها مطلقًا، أعم من أن تؤول إليه أو إلى غيره، بل العمل بالفعل على تحقيق ذلك بوسيلة أو أكثر من وسائل الحسد، والعين التى ذكرنا آنفًا.

(١، ٢) انظر : فتح البارى ١٠/ ٢٠٥ .

وكراهية النعمة عند الغير، وتمنِّى زوالها عنه، والعمل على تحقيق ذلك بوسيلة أو بأخرى إنما هو الحسد أو العين كما قدمنا.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يجتمعان فى النَّار : مسلم قتل كافرًا ، ثم سدَّد وقارب ، ولايجتمعان فى جوف مؤمن: غبار فى سبيل الله ، وفيح جهنَّم ، ولايجتمعان فى قلب عبد : الإيمان والحسد » (١) . والحديث دالٌّ بمنطوقه، أو بلفظه على أنَّ الإيمان بالله المنعم لا يجتمع مع الحسد أبدًا، بل إذا وُجِد أحدهما انتفى الآخر، فإذا وجد الإيمان بالله انتفى الحسد، وإذا انتفى الإيمان بالله وُجِد الحسد، سواء فسِّر انتفاء الإيمان بانتفاء أصله ـ وهو الكفر بكل صوره وأشكاله من الإلحاد والشرك ـ أم فُسِّر بانتفاء كماله.

يقول العلامة السِّندى فى حاشيته على سنن النسائى تعليقًا على الجملة الأخيرة من الحديث : « هذا تقبيح للحسد ، وبيان أنَّه لا ينبغى للمؤمن أن يحسد فإنه ليس من شأنه ذلك، فمعنى لا يجتمعان ههنا: أنه ليس من شأن المؤمن أن يجمعهما، ويحتمل أن المراد بالإيمان كماله ، فليتأمَّل : (يعنى: المراد بالإيمان أصله، أو كماله) والله تعالى أعلم » (٢) .

وقد حدثنا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فى كتابه الكريم عن صنفين من الكفار قادهم الكفر بالله إلى الحسد: وهما أهل الكتاب: اليهود والنصارى، ومشركو مكة، أمَّا أهل الكتاب: اليهود والنصارى فقد حسدوا محمدًا وأمَّته على الفضل الذى حباهم الله به، حيث أعطى الله محمدًا الرسالة العالمية الخاتمة، ووعد بحفظها بنفسه، وجعل أمته خير أمَّة أُخرِجَت للناس، وبلغ بهم الحسد حدًا ودُّوا معه أن نصير كفارًا مثلهم، قال تعالى: **﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾** [النساء] .

---

(١) الحديث أخرجه النسائى فى: السنن (المجتبى): كتاب الجهاد: باب فضل مَنْ عمل فى سبيل الله على قدمه ٦/ ١٢ ـ ١٣ ، فى السنن الكبرى ٣/ ٩ ـ ١٠ رقم (٤٣١٧ ـ ٤٣٢٠/ ٤ ـ ٧) عن عيسى بن حماد، عن ليث، عن محمد بن عجلان، عن سهيل بن أبى صالح، عن أبيه ذكوان، عن أبى هريرة به، واختلف فيه على سهيل.

(٢) ٦/ ١٣ بهامش: المجتبى، وزهر الرُّبى.

يقول ابن جرير ـ رحمه الله : «وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله عاتب اليهود الذين وصف صفتهم فى هذه الآيات، فقال لهم فى قيلهم للمشركين مِنْ عَبَدَة الأوثان: أنهم أهدى من محمد، وأصحابه سبيلا على علم منهم بأنهم فى قيلهم ما قالوا مِنْ ذلك كذبةً أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، وإنَّما قلنا ذلك أولى بالصَّواب، لأن ما قَبْلَ قوله: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله مِنْ فضله مضى بذمِّ القائلين من اليهود للذين كفروا: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا، فإلحاق قوله: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله مِنْ فضله، بذمِّهم على ذلك، وتقريظ للذين آمنوا الذين قيل فيهم ما قيل أشبه وأولى، ما لم يأت دلالة على انصراف معناه عن معنى ذلك، واختلف أهل التأويل فى تأويل الفضل الذى أخبر الله أنَّه آتى الذين ذكرهم فى قوله: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله، فقال بعضهم: ذلك الفضل هو النبوَّة، وقيل غير ذلك». واختار ابن جرير: أن هذا الفضل: هو النبوَّة التى فضَّل بها محمدًا وتشرَّف بها العرب، فقال: «وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب قول قتادة، وابن جريج: أن معنى الفضل فى هذا الموضع النبوَّة التى فضل الله بها محمدًا، وشرَّف بها العرب إذ آتاها رجلا منهم دون غيرهم» (١) .

ويقول الألوسى ـ رحمه الله : « أم يحسدون الناس: انتقال عن توبيخهم بالبخل إلى توبيخهم بالحسد الذى هو مِنْ أقبح الرَّذائل المهلكة من اتصف بها دنيا وأخرى، وذكره بعده من باب الترقِّى، وأَمْ منقطعة، والهمزة المقدَّرة بعدها لإنكار الواقع والمراد من الناس: سيِّدهم بل سيد الخليقة على الإطلاق : محمد ﷺ وإلى هذا ذهب عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وأبو مالك، وعطيَّة . . .

وذهب قتادة ، والحسن، وابن جريج إلى أن المراد بهم: العرب، وعن أبى جعفر، وأبى عبد الله : أنهم النبى وآله، عليه وعليهم أفضل الصلاة وأكمل السلام، وقيل: المراد بهم جميع الناس الذين بعث إليهم النبى ﷺ من الأسود والأحمر، بل أيحسدونهم: يعنى النبوَّة. . . أو بعثة النبى ﷺ منهم، ونزول القرآن بلسانهم: أو جمعهم كمالات تقصر عنها الأمانى، أو تهيئة سبب رشادهم ببعثة النبى ﷺ إليهم، والحسد على هذا مجاز، لأن اليهود لما نازعوه فى نبوَّته ﷺ التى هى إرشاد لجميع الناس فكأنَّما حسدوهم جمع» (٢) .

---

(١) انظر : جامع البيان فى تفسير القرآن ٥/ ٨٨ المجلد الرابع.

(٢) انظر : روح المعانى ٥/ ٧٥ المجلد الثانى.

وقال تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ . . .﴾ [البقرة: ١٠٩] .

يقول ابن جرير ـ رحمه الله: «ويعنى بقوله ـ جل ثناؤه ـ ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾: أن كثيرًا من أهل الكتاب يودُّون للمؤمنين ما أخبر الله ـ جلَّ ثناؤه ـ عنهم: أنهم يودُّونه لهم من الرِّدَّة عن إيمانهم إلى الكفر، حسدًا منهم، وبغيًا عليهم، والحسد إذن منصوب على غير النَّعت للكفار، ولكن على وجه المصدر الذى يأتى خارجًا من معنى الكلام الذى يخالف لفظه لفظ المصدر، كقول القائل لغيره: تمَنَّيْتُ لك ما تمَنَّيْتُ من السوء حسدًا منِّى لك، فيكون الحسد مصدرًا من معنى قوله: تمَنَّيْتُ من السوء، لأن فى قوله: تمَنَّيْتُ لك ذلك معنى: حَسَدْتُكَ على ذلك، فعلى هذا نصب الحسد، لأن فى قوله: ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم كفارًا، يعنى حسدكم أهل الكتاب على ما أعطاكم الله من التوفيق، ووهب لكم من الرشاد لدينه، والإيمان برسوله، وخَصَّكم به من أن جعل رسوله إليكم رجلا منكم، رءوفًا بكم رحيمًا، ولم يجعله منهم، فتكونوا لهم تبعًا، فكان قوله: حسدًا مصدرًا من ذلك المعنى، وأمَّا قوله: من عند أنفسهم، فإنه يعنى بذلك مِنْ قبل أنفسهم ، كما يقول القائل : لى عندك كذا، وكذا، بمعنى لى قبلك. . . وإنما أخبر الله ـ جل ثناؤه ـ عنهم المؤمنين أنهم ودُّوا ذلك للمؤمنين مِنْ عند أنفسهم، إعلامًا منه لهم بأنهم لم يؤمروا بذلك فى كتابهم، وأنهم يؤتون ما يؤتون من ذلك على علم منهم بنهى الله إياهم عنه »[١] .

ويقول سبحانه عن المشركين : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا . . .﴾ [الزخرف] .

يقول ابن جرير ـ رحمه الله : « وقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾، يقول تعالى ذكره: أهؤلاء القائلون لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم: يا محمد، يقسمون رحمة ربِّك بين خلقه، فيجعلون كرامته لمن شاءوا، وفضله لمن أرادوا، أم الله الذى يقسم ذلك، فيعطيه مَنْ أحب، ويحرمه مَنْ شاء. . .؟ وقوله: نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا، يقول تعالى ذكره: بل نحن قسمنا رحمتنا وكرامتنا بين مَنْ شئنا مِنْ خَلقنا فنجعل من شئنا رسولا، ومَنْ أردنا صديقًا، ونتَّخذ مَنْ أردنا خليلا كما قسمنا بينهم معيشتهم التى يعيشون بها فى حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات،

---

[١] انظر : جامع البيان ١/ ٣٨٩ المجلد الأول.

فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجةً، بل جعلنا هذا غنيًا، وهذا فقيرًا، وهذا مَلِكًا، وهذا مملوكًا، ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًا »[١] .

ويقول ابن كثير ـ رحمه الله : «وقالوا ـ أى كالمعترضين على الذى أنزله تعالى، وتقدَّس ـ : لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم: أى هلاَّ كان إنزال هذا القران على رجل عظيم: كبير فى أعينهم، من القريتين: مكة والطائف، وقد ذكر غير واحد من السَّلف أنهم أرادوا بذلك: الوليد بن المغيرة، وعروة بن مسعود الثقفى، وعن مجاهد: يعنون عتبة بن ربيعة بمكة، وابن عبد ياليل بالطائف، وقال السُّدِّى: عنوا بذلك: الوليد بن المغيرة، وكنانة بن عمرو الثقفى، والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أى البلدين كان، قال تعالى ردًا عليهم فى هذا الاعتراض: أهم يقسمون رحمة ربِّك ؟ أى ليس الأمر مردودًا إليهم، بل إلى الله ـ عز وجل ـ والله أعلم حيث يجعل رسالته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبًا، ونفسًا، وأشرفهم بيتًا، وأطهرهم أصلا، ثم قال ـ عز وجل ـ مبيِّنًا أنه قد فاوت بين خلقه،فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق، والعقول،والفهوم،وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة، فقال: نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا. . . الآية »[٢] .

ويقول سبحانه عن المشركين أيضًا: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١)﴾ [القلم] .

يقول ابن جرير ـ رحمه الله : « يقول ـ جل ثناؤه ـ ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يا محمد، ينفذونك بأبصارهم مِنْ شدة عداوتهم لك، ويزيلونك، فيرموا بك عند نظرهم إليك غيظًا عليك، وقد قيل: إنه عنى بذلك: وإن يكاد الذين كفروا ممَّا عانوك بأبصارهم ليرمون بك يا محمد، ويصرعونك كما تقول العرب: كان فلانَ يصرعنى بشدَّة نظره إلىَّ، قالوا: وإنما كانت قريش عانوا رسول الله ﷺ ليصيبوه بالعين، فنظروا إليه ليعينوه، وقالوا: ما رأينا رجلا مثله، أو إنه لمجنون، فقال الله لنبيِّه عند ذلك: وإنْ يكاد الذين كفروا ليرمونك بأبصارهم لـمَّا سمعوا الذكر،ويقولونَ إنه لمجنون» ثم ساق من المأثور ما يؤكد ذلك[٣] .

ويقول الماوردى : « فيه ـ أى قوله : ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ ـ ستة أوجه : أحدها : معناه،

---

(١) انظر : جامع البيان ٢٥/ ٤٠، ٤١ المجلد الحادى عشر.

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧ بتصرف.

(٣) انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢٩.

ليصرعونك، قاله الكلبى، الثانى : ليرمقونك، قاله قتادة، الثالث : ليزهقونك، قاله ابن عباس، وكان يقرؤها كذلك، الرابع: لينفذونك، قاله مجاهد، الخامس: ليمسُّونك بأبصارهم مِنْ شدَّة نظرهم إليك، قاله السُّدِّى، السادس: ليعتانونك، أى لينظرونك بأعينهم، قاله الفراء، وحكى أنهم قالوا: ما رأينا مثل «حجمه»[1] ، ونظروا إليه ليعينوه، أى ليصيبوه بالعين، وقد كانت العرب إذا أراد أحدهم أن يصيب أحداً يعنى فى نفسه، أو ماله، تجوَّع ثلاثًا، ثم يتعرض لنفسه أو ماله، فيقول: تالله ما رأيتُ أقوى منه، ولا أشجع، ولا أكثر مالا منه ولا أحسن، فيصيبه بعينه،فيهلك هو وماله،فأنزل الله هذه الآية»[2].

ويقول الألوسى ـ رحمه الله : «والمعنى أنهم لشدَّة عداوتهم ينظرون إليك شزرًا بحيث يكادون يزلون قدَمَك، فيرمونك، مِنْ قولهم: نظر إلىَّ نظرًا يكاد يصرعنى، أو يكاد يأكلنى، أى لو أمكنه بنظره الصرع، أو الأكل لفعله، وجعل مبالغة فى عداوتهم حتى كأنها سرت من القلب والجوارح إلى النظر، فعاد يعمل عمل الجوارح، وأنشدوا قول الشاعر:

يتقارضون إذا التَقَوا فى موطن نظـرًا يـزل مواطـئ الأقـدام

أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين، إذ روى أنه كان فى بنى أسد عيانون، فأراد بعضهم أن يعين رسول الله ﷺ فنزلتْ، وقال الكلبى: كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل ثم يرفع جانب خبائه، فيقول: لم أر كاليوم إبـلا ولا غنمًا أحسن من هذه فتسقط طائفة منها، وتهلك، فاقترح الكفار منه أن يصيب رسول الله ﷺ فأجابهم وأنشد :

قد كان قومُك يحسبُونَكَ سيّدًا وأخالُ أنكَ سـيِّدٌ مَعـيـون

فعصم الله نبيه ﷺ وأنزل عليه هذه الآيـة »[3] .

٢ ـ بسط الدنيا وتنافسها :

وقد يكون من أسباب الحسد والعين: بسط الدنيا وتنافسها؛ ذلك أنَّ الدنيا إذا أقبلتْ على الناس، ولم يكونوا على بصيرة بالضوابط التى وضعها الشارع الحكيم للتعامل مع هذه

(١) ولعل الصواب «حُـجَّـتَـهُ» انظر: بدائع التفسير ٥/ ٤١٦ .

(٢) انظر : النكت والعيون ٤/ ٢٨٩ . (٣) انظر : روح المعانى ٢٩/ ٣٨ .

الدنيا، فإنهم يقعون فى شراك التنافس فيها، ويقودهم هذا التنافس إلى الحسد، وذلك ما لفت النبىُّ ﷺ النظر إليه حين قال: « إذا فُتحت عليكم فارس والروم، أىُّ قومٍ أنتم؟ »

قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله [١] ، قال رسول الله ﷺ : « أو غير ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك، ثم تنطلقون إلى مساكن المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض»[٢] .

---

(١) قوله: «نقول كما أمرنا الله»: معناه ـ كما ذكر النووى فى: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٨/ ٩٦م٩ ـ: «نحمده، ونشكره، ونسأله المزيد من فضله»: ـ وكما ذكر القرطبى فى: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/ ١١٤ ـ: «أى نقول قولا مثل الذى أمرنا الله وكأنَّ هذا منه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. . .﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وذلك أنه فهم أن رسول الله ﷺ خاف عليهم الفتنة من بسط الدنيا عليهم، فأجابه بذلك، فكأنَّه قال: «نَسْتكفى الفتن، والمحن بالله، ونقول كما أمرنا الله، وهذا إخبار منهم عما يقتضيه حالهم فى ذلك الوقت، فأخبرهم النبى ﷺ بأنهم لا يبقون على تلك الحال، وأنها تتغيَّر بهم» أقول والرأى أنه لا تعارض بين التفسيرين، إذ المسلم يرى أنَّ إقبال الدنيا مثل إدبارها محنة، بل أشد كما قال سليمان عليه السلام حين منَّ الله عليه بما مَنَّ: ﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل]، والواجب عليه حينئذ هو: الحمد، والشكر بالعطاء، وسؤاله المزيد من فضله، وكذلك الاستعانة به سبحانه خشية الافتتان، واستخدامها فى غير مرضاة الحق ـ تبارك وتعالى .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق: باب ما يحذر من بسط الدنيا، ومن التنافس ٤/ ٢٢٧٤ ـ ٢٢٧٥ رقم (٢٩٦٢)، وابن ماجه فى: السُّنن: كتاب الفتن: باب فتنة المال ٢/ ١٣٢٤ رقم (٣٩٩٦) كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا، واللفظ لمسلم، وقوله: «ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين. . .» الحديث، فسَّره بعضهم: أنه إذا وقع التنافس بينهم والتحاسد، والتباغض: أخذ القوىُّ حقَّ المسكين من المهاجرين الذى لا يقدر على مدافعته بالقهر والغلبة، مستدلا بسياق الحديث وبرواية السمرقندى: «فيحملون» بدل «فيجعلون»، ولكن القاضى عياض لم يرض هذا التفسير محتجًا: أن هذا كلام مستأنف لا ارتباط له بما قبله، ثم قال: «والأشبه أن يكون الكلام على وجهه، وأراد أن مساكين المهاجرين، وضعفتهم ستفتح عليهم إذ ذاك الدنيا حتى يكونوا أمراء بعضهم على رقاب بعض»، ولم يرتض القرطبى إبطال القاضى عياض هذا الرأى، ولا تفسيره الذى اختاره قائلا كما فى المفهم ٧/ ١١٥ ـ ١١٦ ـ: «قلتُ: والعجب من إنكار القاضى على هذا المتأول، واختياره هذا المعنى الذى لا يقبله مساق الحديث، ولا يشهد له معناه، وذلك أن معنى الحديث: أنه أخبرهم أنهم تتغيَّر بهم الحال، وأنهم يصدر عنهم أو عن بعضهم أحوال غير مُرضية، تُخالف حالهم التى كانوا عليها معه من التنافس والتباغض، وانطلاقهم فى مساكن المهاجرين، فلابدَّ أن يكون هذا الوصف غير مرضى كالأوصاف التى قبله، وأن تكون تلك الأوصاف المتقدمة توجبه، وحينئذ يلتئم الكلام أوله وآخره، ولا يصح ذلك إلا بذلك التقدير الذى أنكر القاضى، فيكون معنى الحديث: أنه إذا وقع التنافس، والتحاسد، والتباغض، حملهم ذلك على أن يأخذ القوىُّ ما أفاءه الله تعالى على المسكين الذى لا يقدر على مدافعته فيمنعه عنه ظلمًا، وهذا بمقتضى التنافس، والتحاسد، والتباغض، ويعضده رواية السمرقندى: «فيحملون بعضهم على رقاب بعض»، أى بالقهر والغلبة، وأما ما اختاره القاضى فغير ملائم للحديث، فتدبَّرْهُ تجده كما أخبرتك، والله تعالى أعلم».

وحين قال: «فأبشروا، وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم ولكن أخشى أن تُبسط عليكم الدنيا، كما بُسطتْ على مَنْ قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتُهلككم كما أهلكتهم »[١].

وعن عقبة بن عامر ﷺ أن النَّبىَّ ﷺ خرج يومًا فصلَّى على أهل أُحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: «إنى فرط لكم، وإنى شهيدٌ عليكم، وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن، وإنى أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإنى والله ما أخاف عليكم أن تُشركوا بعدى، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها »[٢].

وعن أبى سعيد الخدرىِّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم مِنْ زهرة الدنيا » قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول الله ؟ ، قال: «بركاتُ الأرض. . .» الحديث[٣].

وقد علَّق العلاَّمة القرطبى على حديث عبد الرحمن بن عوف بقوله: «أى: تتسابقون إلى أخذ الدنيا، ثم تتحاسدون بعد الأخذ، ثم تتقاطعون فيولِّى كل واحد

---

(١) الحديث جزء حديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الجزية: باب الجزية والمواعدة. . . ٤/ ١١٧ ـ ١١٨، وكتاب المغازى: باب منه ٥/ ١٠٨، وكتاب الرقاق: باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ٨/ ١١٢، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الزهد والرقائق: باب ما يحذر من بسط الدنيا ومن التنافس ٤/ ٢٢٧٣ رقم (٢٩٦١)، والترمذى فى: السُّنن: كتاب صفة القيامة. . باب منه ٤/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣ رقم(٢٤٦٢)، وابن ماجه فى: السُّنن: كتاب الفتن: باب فتنة المال ٢/ ١٣٢٤ ـ ١٣٢٥ رقم (٣٩٩٧)، وأحمد فى: المسند ٤/ ١٣٧، ٣٢٧، كلهم من حديث عمرو بن عوف الأنصارى ـ وهو حليف لبنى عامر بن لؤى، وكان شهد بدرًا ـ أن رسول الله ﷺ بعث أباعبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتى بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ قد صالح أهل البحرين، وأمَّر عليهم العلاء بن الحضرمى، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة، فوافت صلاة الصبح مع النَّبى ﷺ فلما صلى بهم الفجر انصرف، فتعرضوا له، فتبسَّم رسول الله ﷺ حين رآهم، وقال: «أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء؟» قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا. . .» الحديث، وعقَّب الترمذى على روايته بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الجنائز: باب الصلاة على الشهيد ٢/ ١١٤ـ ١١٥، وكتاب المناقب: باب علامات النبوة فى الإسلام ٤/ ٢٤٠، وكتاب المغازى: باب غزوة أحد وباب أحد جبل يحبنا ٥/ ١٢٠، ١٣٢، وكتاب الرقاق: باب فى الحوض ٨/ ١٥١، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الفضائل: باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ٤/ ١٧٩٥ ـ ١٧٩٦ رقم (٢٢٩٦ / ٣٠ ـ ٣١)، وأحمد فى المسند ٤/ ١٤٩ كلهم من حديث عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا، واللفظ للبخارى.

(٣) الحديث جزء حديث طويل أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الزكاة: باب الصدقة على اليتامى ٢/ ١٤٩ ـ ١٥٠، وكتاب الجهاد: باب فضل النفقة فى سبيل الله ٤/ ٣٢، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الفضائل: باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا ٢/ ٧٢٧ ـ ٧٢٩ رقم (١٠٥٢ / ١٢١ ـ ١٢٣)، والنسائى فى: السُّنن: (الصغرى): كتاب الزكاة: باب الصدقة على اليتيم ٥/ ٩٠ ـ ٩١ (الكبرى) ٢/ ٤٨ رقم (٢٣٦٢)، وابن ماجه فى: السُّنن: كتاب الفتن: باب فتنة المال ٢/ ١٣٢٣ رقم(٣٩٩٥)، وأحمد فى: المسند ٣/ ٧، ٢١، ٩١، كلهم من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ مرفوعًا، واللفظ للبخارى.

منكم دبره عن الآخر معرضًا عنه، ثم تثبتُ البغضاء فى القلوب، وتتراكم حتى يكون عنها الخلاف، والقتال، والهلاك، كما قد وجد » (١) .

كما علَّق عليه الإمام النووى بقوله : « قال العلماء : التنافس إلى الشىء : المسابقة إليه، وكراهة أخذ غيرك إيَّاه، وهو أول درجات الحسد . . . » (٢) .

٣ ـ الاستعلاء والتكبر :

وقد يكون السبب فى الحسد إنَّما هو الاستعلاء والتكبر، ذلك أنَّ مَنْ يستعلى أو يتكبر فى الأرض بغير الحقِّ لا يحبُّ أن يرى أحدًا فوقه أو أعلى منه، ولئن رأى من يفوقه أو يتقدم عليه، وهو غير قادر على مضاهاته أو مساواته فإنه يحقد عليه، وبمرور الزمن يتحول الحقد إلى حسد، ولعل هذا من السِّيَر فى سبيل الغىِّ الذى هو دأب المتكبِّرين، قال تعالى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦)﴾ [الأعراف] .

ولعلَّ منه أيضًا امتناع إبليس من السجود لآدم استعلاءً وتكبرًا بدعوى أنه خير منه من حيث إن الله خلقه من نار، وآدم من طين، وعنده أن النار أفضل من الطين، قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ(٧٦)﴾ [ص] . وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)﴾ [البقرة] .

وقد نقل أبو الليث السمرقندى تلميح بعض الحكماء إلى ذلك، ثم عقب عليه بما يجلِّيه ويوضحه فقال : «وقال بعض الحكماء: إياكم والحسد فإن الحسد أول ذنب عُصى الله تعالى به فى السَّماء، وأول ذنب عُصى الله تعالى به فى الأرض، وإنَّما أراد بقوله: أول ذنب عُصى الله تعالى به فى السَّماء يعنى: إبليس حين أبى أن يسجد لآدم، وقال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾، فحسده، فلعنه الله تعالى بذلك، وأمَّا الذى عصى الله تعالى به فى الأرض فهو قابيل بن آدم حين قَتَلَ أخاه هابيل حسدًا،

(١) انظر : المفهم لما أُشكل مِنْ تلخيص كتاب مسلم ٧/ ١١٤ .
(٢) انظر : المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووى ١٨/ ٩٦ / م٩ .

وهو قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) ﴾ [المائدة] » (١) .

٤ ـ العداوة والبغضاء مع عدم القدرة على الانتقام :

وقد تكون العداوة والبغضاء مع عدم القدرة على الانتقام من بين الأسباب أو البواعث التى تدفع إلى الحسد.

وهذا ما لفت الحق ـ تبارك وتعالى ـ النظر إليه فى قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا . . . ﴾

[آل عمران]

يقول الألوسى ـ رحمه الله : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ ﴾ أيها الذين آمنوا ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ نعمة من ربِّكم، كالألفة، واجتماع الكلمة، والظفر بالأعداء ﴿ تَسُؤْهُمْ ﴾ أى تحزنهم، وتغظهم، ﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أى محنة ، كإصابة العدو منكم ، واختلاف الكلمة فيما بينكم ﴿ يَفْرَحُوا ﴾ ، أى يبتهجوا ﴿ بِهَا ﴾ ، وفى ذلك إشارة إلى تناهى عداوتهم إلى حدِّ الحسد، والشماتة » (٢) .

ولفت النبى ﷺ النظر إليه فى قوله فى حديث أنس بن مالك: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » (٣) .

---

(١) انظر : تنبيه الغافلين بأحاديث سيِّد الأنبياء والمرسلين: باب الحسد ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٢) انظر : روح المعانى ٤/ ٤٠ م٢.

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الأدب: باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر وقوله تعالى: ﴿ومن شرّ حاسد إذا حسد﴾ ٨/ ٣٣ عن أبى اليمان عن شعيب بن أبى حمزة الحمصى ـ مولى بنى أميَّة ـ عن الزهرى عن أنس، وباب الهجرة، وقول رسول الله ﷺ : «لايحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث» ٨/ ٢٥ ـ ٢٦ عن عبد الله بن يوسف، ومسلم فى: الصحيح: كتاب البرِّ والصلة والآداب : باب تحريم التحاسد، والتباغض، والتدابر ٤/ ١٩٨٣ رقم(٢٥٥٩ / ٢٣) عن يحيى بن يحيى، وأبو داود فى: السنن: كتاب الأدب: باب فيمن يهجر أخاه المسلم٤/ ٢٧٨ رقم (٤٩١٠) عن عبد الله بن مسلمة (القعنبى) ثلاثتهم، عن مالك عن ابن شهاب، عن أنس أن النبى ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تَحَاسَدوا، ولا تدابروا ، وكونوا عِباد الله إخواناً. . .» الحديث ، والترمذى فى : السنن : كتاب البر =

وعن أبى هريرة أن النَّبى ﷺ قال : « لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا إخوانا كما أمركم الله »[(١)] .

= والصلة: باب ما جاء فى الحسد ٤/ ٢٩٠ ـ ٢٩١، رقم (١٩٣٥) عن عبد الجبار بن العلاء العطار، وسعيد بن عبد الرحمن، كلاهما عن سفيان، عن الزهرى، عن أنس مرفوعًا: «لا تقاطعوا ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»، وعقّب عليه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح، وفى الباب عن أبى بكر الصديق، والزبير بن العوام، وابن مسعود، وأبى هريرة»، ومالك فى: الموطأ: كتاب حُسن الخُلق: باب ما جاء فى المهاجرة ص ٥٦٦ رقم (١٤) عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحلُّ لمسلم أن يهاجر أخاه فوق ثلاث ليال».

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب تحريم الظنِّ والتجسس، والتنافس، والتناجش ونحوها ٤/ ١٩٨٦(٢٥٦٣/ ٣٥مكرر) عن الحسن بن على الحُلْوانىِّ، وعلى بن نصر الجهضمىِّ كلاهما عن وهب بن جرير، عن شعبة عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة مرفوعًا بهذا اللفظ، والبُخارىُّ فى : الصحيح: كتاب النكاح: باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع ٧/ ٢٤ عن يحيى بن بكير، عن الليث، عن جعفر بن ربيعة، عن الأعرج قال: قال أبو هريرة يأثر عن النبى ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظنَّ أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخواناً، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك»، وكتاب الفرائض: باب تعليم الفرائض، وقال عقبة بن عامر: تعلموا قبل الظانين، يعنى: الذين يتكلمون بالظنِّ ٨/ ١٨٥ عن موسى ابن إسماعيل عن وهيب عن عبد الله بن طاوس، عن أبيه، عن أبى هريرة: «إياكم والظنَّ فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث، ولاتحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً » ، وكتاب الأدب: باب ما ينهى عن التحاسد، والتدابر، وقوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ٨/ ٢٣ عن بشر بن محمد، عن عبد الله بن المبارك، عن مَعْمَر، عن همَّام بن مُنَبِّه، عن أبى هريرة مرفوعًا: «إياكم والظنَّ، فإن الظنَّ أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولاتحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانًا»، وباب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ ٨/ ٢٣، عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة مرفوعًا : «إياكم والظنَّ ، فإن الظنَّ أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً».

ومسلم فى: الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظنِّ، والتجسس، والتنافس، والتناجش ونحوها ٤/ ١٩٨٥ رقم (٢٥٦٣ / ٢٨)، عن يحيى بن يحيى، عن مالك، عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة مرفوعًا: «إياكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً».

وأبو داود فى: السنن: كتاب الأدب: باب فى الظن٤/ ٢٨٠ رقم (٤٩١٧) عن عبد الله ابن مسلمة، عن مالك، عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة مرفوعًا: «إياكم والظنَّ، فإنَّ الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا».

والترمذى فى: السنن: كتاب البرِّ والصلة: باب ما جاء فى ظنِّ السوء ٤/ ٣١٣ رقم (١٩٨٨) عن ابن أبى عمر، عن سفيان، عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة مرفوعًا: «إياكم والظن، فإن الظنَّ أكذب الحديث» وعقّب عليه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

ومسلم فى : الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظنِّ والتجسس... ٤/ ١٩٨٥ =

يقول أبو حامد الغزالى ـ رحمه الله ـ تصويرًا لهذا السبب، وكيف يؤدى إلى الحسد:

«العداوة والبغضاء ، وهما أشد أسباب الحسد، فإن مَنْ آذاه شخص بسبب من الأسباب، وخالفه فى غرض لوجه من الوجوه أبغضه قلبه، وغضب عليه، ورسخ فى

= رقم (٢٥٦٣ / ٢٩) عن قتيبة بن سعيد ، عن عبد العزيز بن محمد ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبى هريرة مرفوعًا: «لا تهجروا» ـ وفى رواية: « لا تهاجروا ـ ولا تدابروا ، ولاتحسوا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا » ٤/ ١٩٨٥ رقم (٢٥٦٣)، وعن إسحاق بن إبراهيم، عن جرير ابن عبد الحميد، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة مرفوعًا: «لا تحاسدوا ولاتباغضوا، ولاتجسوا، ولا تحسوا، ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانا» ٤/ ١٩٨٥ رقم (٢٥٦٣/ ٣٠)، وعن أحمد بن سعيد الدَّارمى، عن حَبَّان، عن وهيب، عن سهيل، عن أبيه، عن أبى هريرة مرفوعًا : «لاتباغضوا، ولا تدابروا، ولا تنافسوا، وكونوا عباد الله إخوانا» ٤/ ١٩٨٦ رقم (٢٥٦٣ / ٣١)، وباب تحريم ظلم المسلم وخذله، واحتقاره، ودمه، وعرضه، وماله ٤/ ١٩٨٦ رقم (٣٥٦٤/ ٣٢) عن عبد الله بن مسلمة بن قعنب، عن داود بن قيس، عن أبى سعيد ـ مولى عبد الله بن عامر بن كريز ـ عن أبى هريرة مرفوعًا: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولاتدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لايظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»، وعن أبى الطاهر بن السرح، عن ابن وهب، عن أسامة بن زيد، عن أبى سعيد ـ مولى عبد الله بن عامر بن كريز ـ عن أبى هريرة مرفوعًا: نحوه، وزاد ونقص، ومما زاد فيه: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»، وأشار بأصابعه إلى صدره، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الزهد: باب البغى ٢/ ١٤٠٩ رقم (٤٢١٣) عن يعقوب بن حميد المدنى، عن عبد العزيز بن محمد، عن داود بن قيس، عن أبى سعيد ـ مولى بنى عامر ـ عن أبى هريرة مرفوعًا: «حسب امرئ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم»، وكتاب الفتن: باب حرمة دم المؤمن وماله ٢/ ١٢٩٨ رقم (٣٩٣٣)، عن بكر بن عبد الوهاب، عن عبد الله بن نافع، ويونس بن يحيى، كلاهما عن داود بن قيس، عن أبى سعيد ـ مولى عبد الله بن عامر بن كريز ـ عن أبى هريرة مرفوعًا: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعِرضه».

وأخرج ابن ماجه فى: السنن: كتاب الدعاء: باب الدعاء بالعفو والعافية ٢/ ١٢٦٥ رقم (٣٨٤٩) عن أبى بكر، وعلى بن محمد، كلاهما عن عبيد بن سعيد، عن شعبة، عن يزيد ابن خُمَيْر، عن سُلَيْم بن عامر، عن أوسط بن إسماعيل البجلى أنه سمع أبا بكر حين قبض النبى ﷺ يقول: قام رسول الله ﷺ فى مقامى هذا عام الأول ـ ثم بكى أبو بكر ـ ثم قال: «عليكم بالصدق، فإنه مع البرِّ، وهما في الجنَّة، وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النَّار، وسلوا الله المعافاة، فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيراً من المعافاة، ولا تحاسدوا، ولاتباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا: عباد الله إخوانا»، والنسائى فى: السُّنن الكبرى: كتاب عمل اليوم والليلة: باب مسألة المعافاة ٦/ ٢٢٠ ـ ٢٢٢ رقم (١٠٧١٥ ـ ١٠٧٢٤ / ١ ـ ١٠) من عدَّة طرق إلى بكر، وبألفاظ متفاوتة، ومالك فى: الموطأ: كتاب حسن الخلق: باب ما جاء فى المهاجرة ص ٥٦٦ رقم(١٥) عن أبى الزناد، عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظنَّ ، فإن الظنَّ أكذب الحديث، ولا تجسوا، ولاتحسوا، ولاتنافسوا ، ولاتحاسدوا ، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا».

نفسه الحقد، والحقد يقتضى التشفِّى، والانتقام فإن عجز المبغض عن أن يتشفَّى بنفسه أحب أن يتشفَّى منه الزَّمان، وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى، فمهما أصابت عدوَّه بليَّة فرح بها، وظنَّها مكافأةً له من جهة الله على بغضه، وأنها لأجله، ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك؛ لأنها ضد مراده، وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله، حيث لم ينتقم له من عدوِّه الذى آذاه، بل أنعم عليه، وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة، ولا يفارقهما، وإنما غاية التقى ألا يبغى، وأن يكره ذلك من نفسه، فأمَّا أن يبغض إنسانًا، ثم تستوى عنده مسرته ومساءته، فهذا غير ممكن، وهذا مما وصف الله تعالى الكفَّار به، أعنى: الحسد بالعداوة، إذ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ. . . ﴾ [آل عمران] .

وكذلك قال: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾

[آل عمران : ١١٨]

والحسد بسبب البغض ربما يفضى إلى التنازع ، والتقاتل ، واستغراق العمر فى إزالة النعمة بالحيل ، والسعاية ، وهتك الستر ، وما يجرى مجراه » [(١)] .

٥ ـ استحسان الشىء والإعجاب به :

وقد يكون استحسان الشىء، والإعجاب به من بين الأسباب المؤدية إلى الحسد أو العين، ذلك أن الناظر يرى الشىء رؤية إعجاب به أو استعظام، فتتكيَّف روحه بكيفية خاصة تؤثر فى المعين بإذن الله ومشيئته، وهذا هو الذى يعرفه الناس من رؤية المعين، فإنهم يستحسنون الشىء ويُعجبون منه فيُصاب بذلك [(٢)] .

وتقدم حديث سهل بن حنيف حين حسده ورماه بالعين من شدة إعجابه واستحسانه ببياض جلده : عامر بن ربيعة.

٦ ـ عدم الاستعاذة والتحصن من شرِّ الحاسد والعائن :

وقد يكون عدم الاستعاذة والتحصُّن من شرِّ الحاسد والعائن من بين الأسباب المؤدية إلى الحسد والعين، ذلك أن ذكر الله حصانة من كلِّ شىء مؤذى لاسيما الحاسد، والعائن، كما قال النبى ﷺ : « إن الله ـ عز وجلَّ ـ أمر يحيى بن زكريا عليه السلام

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين ٣ / ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٢) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ٢٣٢ بتصرف.

بخمس كلمات أن يعمل بهنَّ، وأن يأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهنَّ، وكاد أن يبطئ، فقال له عيسى: إنك قد أُمرتَ بخمس كلمات أن تعمل بهنَّ، وتأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهنَّ، فإمَّا أن تبلِّغهنَّ، وإمَّا أن أُبلِّغهنَّ، فقال: يا أخى، إنى أخشى إن سبقتنى أن أُعذَّب، أو يُخسف بى، قال: فجمع يحيى بنى إسرائيل فى بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشُّرف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أمرنى بخمس كلمات أن أعمل بهنَّ، وآمركم أن تعملوا بهنَّ:

أولهنَّ : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، فإن مثل ذلك مثل رجلٍ اشترى عبدًا من خالص ماله بورق أو ذهب، فجعل يعمل ويؤدِّى غلَّته إلى غير سيِّده، فأيُّكم سرَّه أن يكون عبده كذلك، وإن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا.

وآمركم بالصلاة، فإنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفتْ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا.

وآمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه جرَّة من مسك فى عصابة كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم عند الله أطيب مِنْ ريح المسك.

وآمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدوُّ، فشدُّوا يديه إلى عنقه، وقدَّموه ليضربوا عنقه، فقال: هل لكم أن أفتدى نفسى منكم، فجعل يفتدى نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فكَّ نفسه.

وآمركم بذكر الله ـ عز وجلَّ ـ كثيرًا، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدوُّ سراعًا فى أثره، فأتى حصنًا حصينًا فتحصَّن فيه، وإن العبد أحسن ما يكون من الشيطان، إذا كان فى ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ .

فقال رسول الله ﷺ : وأنا آمركم بخمس، الله أمرنى بهنَّ : بالجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد فى سبيل الله، فإنَّ مَنْ خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومَنْ دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم»، قالوا: يا رسول الله، وإنْ صامَ، وإنْ صلَّى، قال: « وإنْ صامَ، وإنْ صلَّى، وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم بما سمَّاهم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ المسلمين، المؤمنين عباد الله ـ عزَّ وجلَّ »[1] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد فى: المسند ٤/ ١٣٠، ٢٠٢ من حديث الحارث الأشعرى مرفوعًا به.

٧ ـ البُخل أو الشُّـحُّ :

وقد يكون البخل أو الشُّـحُّ من بين الأسباب المؤدية إلى الحسد أو العين، ذلك أن البخيل أو الشحيح يكرهه الناس، وقد تنتهى الكراهية غالبًا إلى الحسـد أو العين.

وهذا هوالمفهوم من قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) ﴾ [التوبة] .

يقول ابن القيِّم ـ رحمه الله : « فالمحسن المتصدق يستخدم جندًا وعسكرًا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه، فمَنْ لم يكن له جند ولا عسكر ، وله عدوٌّ ، فإنَّه يوشك أن يظفر به عدوُّه ، وإن تأخَّرتْ مدَّة الظفر»(١) .

ويقول القرضاوى : «والزَّكاة ـ لآخذها أيضًا ـ تطهير من داء الحسد، والكراهية، فالإنسان إذا عضَّتْـهُ أنياب الفقر، ودهته داهية الحاجة ورأى مَنْ حوله ينعمون بالخير، ويعيشون فى الرَّغـد، ولا يمدُّون له يدًا بالعون، بل يتركونه لمخالب الفقر وأنيابه، هذا الإنسان لا يسلم قلبه من البغضاء، والضَّغينة على مجتمع يهمله، ولا يُعْنَى بأمـره، وتربة الشحِّ، والأنانية لا تنبتُ إلا الحقد، والحسد لكلِّ ذى نعمة » (٢) .

٨ ـ التفريق فى المعاملة :

وقد يكون التفريق فى المعاملة من بين الأسباب المؤدية إلى الحسد والعين، ذلك أن الإنسان يحبُّ أنْ يعامـله النـاس بمبـدأ المسـاواة والمماثلة لأقـرانه ، وأتـرابه ، فإذا رأى ظلمًا وتفريقًا فى المعاملة، ولا يستطيع الانتقام لسبب أو لآخر عوَّض عن ذلك بالحسد والعين.

وهذا أكثر ما يكون بين الضرائر، وبين الأولاد، وبين المرءوسين مع المسؤولين عنهم أو رؤسائهم.

٩ ـ عدم التزام الحاسد أو العائن بحقيقة وآداب الشرع الحنيف :

وقد يكون عدم التزام الحاسد أو العائن بحقيقة وآداب الشرع الحنيف من قوله إذا رأى شيئًا يعجبه : « بسم الله ما شاء الله، لا قوة إلا بالله »، « الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات » ، وقراءة : الـمُعوَّذتين، والإخلاص، وآية الكرسى، وفاتحة الكتاب.

---

(١) انظر: بدائع الفوائد ٢/ ٢٤٣ .

(٢) انظر : فقه الزكاة ٢/ ٨٧٦ .

ونحوها من أسباب الوقوع فى الحسد أو العين، إذ جاء فى الحديث : أن النبى ﷺ قال: « إذا رأى أحدكم مِنْ أخيه ما يعجبه، فَلْيَدْعُ له بالبركة » (١) .

ومفهومه أنَّه إذا لم يَدْعُ رَبَّــه بذلك ربما وقع ما لا يُحمد عُقباه، وكان الحسد، والعين.

١٠ ـ الغفلة عن عواقب الحسد والعين :

وقد تكون الغفلة عن عواقب الحسد والعين من بين الأسباب المؤدية إلى الحسد والعين، ذلك أن مَنْ جَهِلَ عواقب أمرٍ مَّا: أتى هذا الأمر من غير أن يلوى على شىء.

ثامنـًا : آثار الحسد والعين :

وللحسد والعين آثار ضارَّة ، وعواقب مهلكة تصيب الفرد والجماعة ، وتتجاوز الدنيا فى الحاسد والعائن إلى الآخرة، ودونك طرفًا من هــذه الآثار:

أ ـ آثار الحسد والعين على الحاسد والعاين :

١ ـ القلق والاضطراب النفسى :

ذلك أنَّهمـا بعيدان عن الله، غير راضين بقسمته، وأقل ما يعاقب به مَنْ كان على هذا الحال: القلق والاضطراب النفسى، كما قال سبحانه فى شأن الأنصار : ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر: ٩] .

يقول أبو حامد الغزالى بعد ذكره الآية: « أى لا تضيق صدورهم به، ولا يغتمون، فأثنى عليهم بعدم الحسد» (٢) .

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن] . ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا . . .﴾ [طه: ١٢٤] .

وهذا أيضًا هو المفهوم من قوله سبحانه : ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ . . .﴾ [التغابن: ١١] . ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام] . ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

---

(١) الحديث جزء من حديث طويل تقدم لفظه، وتخريجه ص ٢١٥ .

(٢) انظر: إحياء علوم الدين ٣ / ١٩٠ .

٢ ـ القعود عن العمل وأداء الواجب :

ذلك أنَّهما يعيشان على الأمانى والآمال فى بعض الأحوال مِنْ تَمَنِّى زوال نعمة الغير وصيرورتها إليهما، تاركين العمل، وأداء الواجب وراءهما ظهريًا، ومَنْ كان على هذه الشاكلة فهو عنصر سلبى فى المجتمع يعوق نموَّه، وتقدُّمه، بل ربَّما تتعدى عدواه إلى الآخرين، والأولى أن يُغَيَّب عن أعين الناس حصرًا للخطر والضرر فى أضيق دائرة، ويجرى عليه رزقه، وكذلك أهله وذويه كما تقدم.

٣ ـ ملازمة الهموم والغموم له :

ذلك أنَّ الأمور تسير بتقدير من الله العليم الحكيم، وليس بهوى الحاسد والعائن، وما عُرِفَ أنَّ الله استجاب لهذا الصنف من الناس الذى يحقد على الناس بالباطل، وحوَّل النعمة من الغير إليهم ، بل يتركهم هكذا فى همومهم وغمومهم يتلظون ، ويصطلون .

٤ ـ الذهاب بالحسنات إنْ كانتْ حسنات :

ذلك أن الحاسد أو العاين ربما تكون له حسنات لبعض الطاعات ولكنَّه بالحسد والعين يضيِّع هذه الحسنات أولا بأول، فيكون أشبه ما يكون بالسَّفيه، لديه من المال الشىء الكثير، ويبدده كل يوم هنا وهناك، وقد ورد حديث ضعيف فى هذا المعنى: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو العشب »[1] .

٥ ـ سوء العقبى :

وهذا بدهى فإنَّ مَنْ كانتْ حياته على النحو الذى تقدم تسوء عاقبته، ويلقى من العقاب ما يلقى جزاءً وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد. قال تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) ﴾ [النساء] . ﴿ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فُصِّلَت: ٤٦، والجاثية : ١٥].

بل أقلُّ ما يُقال: أنه يتحمل إثم مَنْ ألحق بهم أذى أو ضررًا، وتنتهى به الآثام إلى سوء العقبى.

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الأدب: باب فى الحسد ٤/٢٧٦ رقم (٤٩٠٣) من حديث إبراهيم بن أبى أسيد عن جده عن أبى هريرة مرفوعًا به، وفيه جهالة الجد.

ب ـ آثار الحسد والعين على المحسود والمعيـون :

١ ـ الضُّـرُّ والأذى :

ذلك أن الحسد أو العين يلحقان بالمحسود والمعيون ضررًا وأذى ـ إن أراد اللـه ـ يتمثل فى مرض بدنى أو نفسى أو هما معًا، أو نكبة فى مال، أو أهل، أو ولد، أو وظيفة، أو عشيرة، أو وجاهة، أو نحو ذلك، وقد تكون هذه جميعًا، يعنى الضر والأذى يكونان مؤلفين من كل هذه الصور .

٢ ـ القعود عن العمل وأداء الواجب :

ذلك أن مَنْ نزل به ضـرٌّ أو أذى، ولم يكن مؤهلا لمثل هذا الضر والأذى يقعد عن العمل وأداء الواجب الأمر الذى يؤدى إلى تأخر الأمة وانحطاط الجماعة، ويفتح الباب لتمكن الأعداء، وسيادتهم على هذه الأمة ومقدَّراتها.

٣ ـ كراهية الحاسد أو العائن :

لاشكَّ أنَّ مَنْ تأكد له بالدليل اليقينى القطعى أن فلانًا كان سببًا فى إنزال ضـرٍّ أو أذى به : يتوجـه إليه بالكُرْهِ ، والبغضاء ، بل بالفرقة والقطيعة ، وحينئذٍ تسنح الفرصة للأعداء بالدخول ، والسيطرة وتحقيق ما يريدون من مكائد، ومخططات.

٤ ـ السعى للثأر والانتقام :

وقد لا يكتفى المحسود أو المعيون بالكراهية، بل يتجاوز ذلك إلى الثأر والانتقام هو أو ذووه، ويكون ما لا تُحمد عُقباه من القطيعة وخسارة الأمـة لعناصر بشرية كان مأمولا مِنْ ورائها أن تساعد فى نهضتها وتقدُّمها.

٥ ـ فتح باب جديد لتحصيل الأجـر والثواب :

وقد يكون المحسود أو المعيون مِنْ قوَّة الإيمان واليقين بحيث يجاهد نفسه، ويحملها على الرضا بقضاء الله وقدره، ويأتى مزيدًا من الطاعات والقربات بغية أن يصرف الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عنه، ويعافيه، فيكتب له من الأجـر والثواب ما لا يعلمه إلا الله كما قال الله ـ عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزُمَر] .

وكما قال النبى ﷺ : « عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كلَّـه خير، وليس ذاك

لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيرًا له »[١] .

وما أجمل قول بعض الحكماء فى الطرفين جميعًا الحاسد والمحسود والعائن والمعيون :

« بَارَزَ الحاسد ربَّه من خمسة أوجه: أحدها: أنَّه أبغض كل نعمة ظهرتْ على غيره، ثانيها: أنَّه ساخط لقسمة ربِّه، كأنه يقول: لِمَ قسمتَ هذه القسمة؟ ثالثها: أنَّه ضادَّ فعل الله، أى أن فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء وهو يبخل بفضل الله، ورابعها: أنَّه خذل أولياء الله، أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم، وخامسها: أنَّه أعان عدوَّه إبليس»[٢] .

تاسعًا : حول الوقاية والعلاج من الحسد والعين :

وإذ قد تم التعرف على ماهية الحسد والعين، وحكمهما، وتأثيرهما، وأسبابهما، وآثارهما: فإنَّه يصبح من السهل رسم طريق الوقاية والعلاج على هذا النحو :

١ ـ التحصُّن بالله والتعوذ به سبحانه وتعالى :

وذلك بالمواظبة على ذكر الله بعموم، والاستعاذة من شرِّ الحاسد إذا حسد، وكذلك العائن بخصوص ، فإن هذا الذكر أكبر حماية وحصانة للعبد من شرِّ شياطين الجن، وشياطين الإنس. وقد أمر الله بذلك فى قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾ [سورة الفلق] .

٢ ـ تقوى الله ـ عزَّ وجلَّ :

المتمثلة فى توحيده سبحانه، والإقلاع عن المعاصى، والمواظبة على فعل الطاعات، قال تعالى : ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الزهد والرَّقائق: باب المؤمن أمره كله خير ٤/ ٢٢٩٥ رقم (٢٩٩٩ / ٦٤)، والدارمىُّ فى: السُّنن: كتاب الرقائق: باب المؤمن يُؤجر فى كلِّ شىء ٢/ ٣١٨، كلاهما من حديث صهيب مرفوعًا، وأحمد فى: المسند ٥/ ٢٤ من حديث أنس مختصرًا، واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووى ٦/ ٩٧، وفيض القدير للمناوى ٣/ ١٢٥.

وقال ﷺ لابن عمِّه : عبد الله بن عباس : « احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك » (١) .

٣ ـ الصبر والتحمل :

فلا يحدّث نفسه بأذى الحاسد أصلا، ولا يقاتله، ولا يشكوه، وتمادى الحاسد والعائن يكون سببًا فى هلاكه من حيث لا يدرى ولا يشعر .

يقول ابن القيِّم ـ رحمه الله : « السبب الثالث : الصبر على عدوِّه، وألا يقاتله، ولا يشكوه، ولا يحدّث نفسه بأذاه أصلا، فما نُصِر على حاسده، وعدوِّه بمثل الصبر عليه، والتوكل على الله، ولا يستطل تأخيره، وبغيه، فإنه كلَّما بغى عليه كان بغيه جندًا، وقوَّة للمبغى عليه المحسود، يقاتل به الباغى نفسه، وهو لا يشعر، فبغيه سهام يرميها مِنْ نفسه إلى نفسه، ولو رأى المبغىُّ عليه ذلك لسرَّه بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغى دون آخره ومآله ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ﴾ [الحج: ٦٠] .

فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقَّه أولا، فكيف بمن لم يستوف شيئًا مِنْ حقِّه، بل بُغِىَ عليه وهو صابر، وما مِنْ ذنبٍ أسرع عقوبة من البغى، وقطيعة الرحم ، وقد سبقتْ سُنَّة الله: أنه لو بَغَى جبلٌ على جبل جعل الباغى منهما دكًّا»(٢) .

٤ ـ التوكل على الله :

وذلك بالأخذ بالأسباب التى مضتْ مع الاعتماد التام على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فإن هذا التوكل بهذه الصورة من أقوى الأسباب التى يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق، وظلمهم، وعدوانهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب صفة القيامة: باب منه ٤/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦ برقم (٢٥١٦) من حديث ابن عباس ﷺ بلفظ: كنتُ خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: « يا غلام إنِّى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشىء لم يضرُّوك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام، وجفَّت الصُّحف»، وعقّب عليه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح»، وأحمد فى: المسند ١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧ ـ ٣٠٨، من حديث ابن عباس مرفوعًا به، وبنحوه.

(٢) انظر : بدائع الفوائد لابن القيِّم ٢/ ٢٤١ .

وقد قيل: « لو توكَّلَ العبدُ على الله حقَّ توكله، وكادته السموات والأرض، ومَنْ فيهنَّ، لجعل الله له مخرجًا مِنْ ذلك، وكفاه ونصره » (١).

٥ ـ التوبة النصوح :

بأن يتذكر نعمة الله عليه، وسوء أدبه مع هذه النعمة، حيث استخدمها فى معصية الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فينقدح فى قلبه الخوف من الله ومن عقابه فيقلع، ويرد المظالم إلى أصحابها فورًا، ويعزم عزمًا أكيدًا ألاَّ يعود وإن قُطِّع وحُرِّق بالنار، عند ذلك يكون العفو عنه من الله وصرف كيد الحُسَّاد والعيَّانين. قال تعالى : ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣] . وقال تعالى : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

٦ ـ الإحسان إلى الحاسد والعائن :

وذلك بالكلمة الطيبة، والهدية، والصدقة، وإطعام الطعام، والاحترام، والسؤال، والتهنئة بنعمة، والمواساة فى الشدة، والإفساح فى المجلس، وطلاقة الوجه ونحوها، قال تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فُصِّلَت]. وقال تعالى : ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص] .

ووجه الدلالة أن الإحسان يستل سخائم النفوس وحقدها فإذا هى تتحول من عدوٍّ إلى صديق .

٧ ـ الرُقية بالمشروع :

إذ كان جبريل عليه السلام يرقى رسول الله ﷺ ، وأمر النبى ﷺ بها.

عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت : كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل، قال: « باسم الله يُبْريك، ومن كلِّ داءٍ يشفيك، ومن شرِّ حاسدٍ إذا حسد، وشرِّ كل ذى عين » (٢).

وعن أبى سعيد: أن جبريل أتى النبىَّ ﷺ فقال: يا محمد، اشتكيتَ ؟ فقال:

---

(١) انظر : بدائع الفوائد لابن القيِّم ٢/ ٢٤١ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب السلام : باب الطب والمرض والرقى ١٧١٨/٤ رقم (٣٩/٢١٨٥) من حديث عائشة مرفوعًا بهذا اللفظ.

«نعم»، قال: «باسم الله أرقيك، من كلِّ شيء يؤذيك، مِنْ شرِّ كلِّ نفسٍ أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك »[١].

وعن عائشة رضي الله عنها : «أن النبى ﷺ كان يَنْفُثُ على نفسه ـ فى المرض الذى مات فيه ـ بالمعوِّذات، فلما ثقل كنتُ أنفث عليه بهنَّ، وأمسح بيده نفسه لبركتها »[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « أمرنى رسول الله ﷺ ـ أو أمر ـ أن يسترقى من العين»[٣].

وعن أمِّ سَلمة رضي الله عنها أن النبى ﷺ رأى فى بيتها جاريةً فى وجهها سَفْعَةً[٤]، فقال: «استرقوا لها فإن بها النظرة »[٥].

٨ ـ أمر العائن بالاغتسال :

بعد التأكد من أنَّه صنع ذلك على النحو الذى ذُكر آنفًا، ثم صبّ فضل هذا الماء على المعيون، لاسيَّما مواضع الضعف منه.

فقد تقدم حديث أبى أمامة سهل بن حنيف: أن أباه حدثه أن النبى ﷺ خرج، وساروا معه نحو ماء، حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف ـ

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب السلام: باب الطب والمرض والرقى ٤/ ١٧١٨ ـ ١٧١٩ رقم (٢١٨٦ / ٤٠)، والترمذى فى: السُّنن: كتاب الجنائز: باب ما جاء فى التعوذ للمريض ٣/ ٣٠٣ رقم(٩٧٢)، وعقب عليه بقوله: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الطب: باب ما عَوَّذ به النبى ﷺ وما عُوِّذ به ٢/ ١١٦٤ رقم (٣٥٢٣)، كلهم من حديث أبى سعيد مرفوعًا به.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الطب: باب الرُّقى بالقرآن والمعوِّذات ١٠/ ١٩٥ رقم (٥٧٣٥) (فتح البارى) من حديث معمر عن الزهرى، عن عروة عن عائشة مرفوعًا بهذا اللفظ، وفى آخره: قال معمر: «فسألت الزهرى: كيف ينفث؟ قال: كان ينفثُ على يديه، ثم يسمح بهما وجهه».

(٣) الحديث أخرجه البخارىُّ فى : الصحيح : كتاب الطب : باب رقية العين ١٠/ ١٩٩ رقم (٥٧٣٨) من حديث عائشة مرفوعًا بهذا اللفظ (فتح البارى) .

(٤) السفعة ـ بفتح المهملة، ويجوز ضمها، وسكون الفاء بعدها عين مهملة ـ سواد فى الوجه، ومنه سفعة الفرس: سواد ناصيته، وقيل: حمرة يعلوها سواد، وقيل: صفرة، وقيل: سواد مع لون آخر، قال ابن حجر فى: فتح البارى ١٠/ ٢٠٢: «وكلها متقاربة، وحاصلها: أن بوجهها موضعًا على غير لونه الأصلى، وكأن الاختلاف بحسب اللون الأصلى، فإن كان أحمر فالسفعة سواد صرف، وإن كان أبيض فالسفعة صفرة، وإن كان أسمر فالسفعة حمرة يعلوها سواد».

(٥) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب الطب: باب رقية العين ١٠/ ٢٠١ رقم (٥٧٣٩) (فتح البارى) من حديث محمد بن الوليد الزبيدى ، عن الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن زينب بنت أبى سلمة، عن أم سلمة مرفوعًا بهذا اللفظ، وعقّب عليه البخارى بقوله: «وقال عقيل عن الزهرى: أخبرنى عروة عن النبى ﷺ ، تابعه عبد الله بن سالم عن الزبيدى».

وكان أبيض حسن الجسم ، والجلد ـ فنظر إليه عامر بن ربيعة، فقال : ما رأيتُ كاليوم، ولا جلد مُخبَّأة، فلبط ـ أى صرع وزنًا ومعنى ـ سهل، فأتى رسول الله ﷺ فقال: «هل تتهمون به من أحد؟» قالوا: عامر ابن ربيعة، فدعا عامرًا فتغيَّظ عليه، فقال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يُعجبك برَّكتَ، ثم قال: اغتسل له، فغسل وجهه، ويديه، ومرفقيه، وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره فى قدح، ثم يصب ذلك الماء عليه رجل من خلفه، على رأسه وظهره، ثم يكفأ القدح، ففعل به ذلك، فراح سهل مع الناس ليس به بأس » (١) .

يقول ابن القيم : «هذه الكيفية لا ينتفع بها مَنْ أنكرها ، ولا مَنْ سخر منها، ولا مَنْ شكَّ فيها أو فعلها مجربًا غير معتقد، وإذا كان فى الطبيعة خواص لا يعرف الأطباء عللها، بل هى عندهم خارجة عن القياس، وإنما تفعل بالخاصية، فما الذى تنكر جهلتهم من الخواص الشرعية؟ هذا مع أن فى المعالجة بالاغتسال مناسبة لا تأباها العقول الصحيحة، فهذا ترياق سُمِّ الحيَّة يؤخذ من لحمها، وهذا علاج النفس الغضبية توضع اليد على بدن الغضبان فتسكن، فكأنَّ أثر تلك العين كشعلة نار وقعتْ على جسد، ففى الاغتسال إطفاء لتلك الشعلة، ثم لـمَّا كانت هذه الكيفية الخبيثة تظهر فى المواضع الرقيقة من الجسد لشدة نفوذها فيها، ولا شىء أرقَّ من المغابن فكان فى غسلها إبطال لعملها، ولاسيَّما أن للأرواح الشيطانية فى تلك المواضع اختصاصًا، وفيه أيضًا وصول أثر الغُسل إلى القلب مِنْ أرقِّ المواضع ، وأسرعها نفاذًا ، فتنطفئ تلك التى أثارتها العين بهذا الماء » (٢) .

وقال ابن حجر : (هذا الغسل ينفع بعد استحكام النظرة، فأمَّا عند الإصابة وقبل الاستحكام فقد أرشد الشارع إلى ما يدفعه بقوله فى قصة سهل بن حنيف المذكورة كما مضى: «ألا بركت عليه »، وفى رواية ابن ماجه « فليدع بالبركة ») (٣) .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد فى: المسند ٣/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧، وابن ماجه فى: السنن: كتاب الطب: باب العين ٢/ ١١٦٠ رقم (٣٥٠٩) ، كلاهما من حديث سهل واللفظ لأحمد.

(٢) انظر: بدائع الفوائد لابن القيِّم ٢/ ٢٤٥ .

(٣) انظر : فتح البارى ١٠ / ٢١٥ .